

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية



مذكرة ماستر

تخصص: فلسفة عامة

إعداد الطالبة:

شنوفي إيمان

اليوم:

نظام الحكم في الفكر السياسي لجون لوك

لجنة المناقشة:

العضو	الرتبة	الجامعة	الصفة
ماريعة أحمد			مشرفة مقرر
عضو 1		
عضو 2		

السنة الجامعية : 2023-2024



إهداء

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات؛ اللهم لك الحمد لك حتى ترضى، والحمد والشكر بعد الرضى، ولك الحمد إذا رضيت.

إلى معلم البشرية الجمعاء، ناقلها من الظلمات إلى النور، إلى المصطفى خير الأنام... فاللهم صلّ وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الذكريات قد تحمل صبر.. أملاً.. لكنها لا تحمل بديلاً.. إلى روح أبي الطاهرة هذه الكلمات وأنت غائب عني بجسدك، ولكن حاضرًا في قلبي وعقلي في كل لحظة، لقد كنت دائما السند والصديق والمعلم، ذكراك تعيش في كل جزء من حياتي وتوجهني في كل خطوة أخطوها أهدي لك هذه المذكرة لتكون رمزًا للحب والامتنان رحمك الله يا أبي وجعل مأواك الجنة وإلى سنوات العمر التي ضفرتُ بها وأنا أستمتع برؤيتها حولي في كل لحظة..

إلى أمي العظيمة مصدر الحب والدعم المستمر يا من أضاءت حياتي ووجهتني نحو النجاح بتضحياتها حفصها الله لنا إلى من حبهم يجري في عروقي وبهيم قلبي بذكراهم؛ إخوتي محمد، حازم، جيهان.. وكل أفراد عائلتي وعلى رأسهم عمي حفظه الله سندي بعد أبي رحمه الله الطيب شنوفي.

شكر وعرّفان

الحمد لله رب العالمين، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك والصلاة والسلام على سيد المرسلين الحبيب محمد صلوات الله عليه

والذي قال: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله".

فشكري وتقديري واحترامي إلى منارة العلم والنقاء والإخلاص

الأستاذ الدكتور ماريّف احمد

فما كنت أقف حائرة حتى يدلّني إلى الصواب، وما أوصد في وجهي باب إلا

فتح أمامي أبواباً، فكان نعم العون بعد الله سبحانه و تعالى.

وأقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة لتفضّلهم في قراءة هذا العمل،

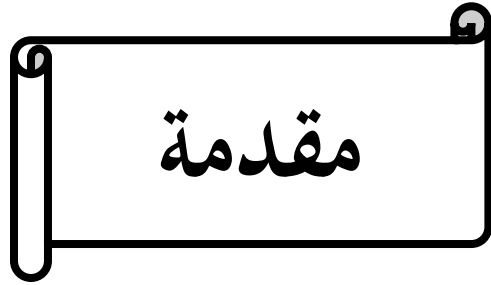
وتقديم النصائح والتوجيهات لإخراجه بصورة جيدة.



فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
/	إهداء
/	شكر وعرقان
2-1	فهرس المحتويات
أ- د	مقدمة
الفصل الأول: مدخل مفاهيمي	
9	تمهيد
10	المبحث الأول: جون لوك في الفكر والشخصية
10	المطلب الأول: تعريف بجون لوك
12	المطلب الثاني : منطلقات فكر جون لوك
19	المطلب الثالث: مؤلفاته
22	المبحث الثاني: تطور الفكر السياسي
22	المطلب الأول: الفكر السياسي اليوناني
25	المطلب الثاني :الفكر السياسي المسيحي
27	المطلب الثالث :الفكر السياسي عند المسلمين
الفصل الثاني: نظام الحكم عند جون لوك	
30	تمهيد
31	المبحث الأول:جون لوك والعقد الإجتماعي
31	المطلب الأول:حالة الطبيعة
34	المطلب الثاني : نظرية العقد الإجتماعي عند جون لوك
37	المطلب الثالث: دوافع تبني العقد الاجتماعي
41	المبحث الثاني : الدولة من منظور جون لوك
41	المطلب الأول: الدولة عند لوك

45	المطلب الثاني : الملكية عند جون لوك
48	المطلب الثالث :فصل السلطات وحل الحكومة
الفصل الثالث : الفكر السياسي عند.جون لوك	
52	تمهيد
53	المبحث الأول: الفلسفة السياسية لجون لوك
53	المطلب الأول: الليبرالية عند جون لوك
57	المطلب الثاني : الديمقراطية عند جون لوك
58	المطلب الثالث : بين الديمقراطية والليبرالية
64	المبحث الثاني: الفكر السياسي لجون لوك وامتداداته
64	المطلب الأول: اثر ونفوذ الفكر السياسي عند جون لوك
71	المطلب الثاني : في مقارنة الفكرية بين جون لوك وجان جاك روسو
77	المطلب الثالث: قراءة نقدية في تصور جون لوك للفكر السياسي ونظام الحكم
80	خاتمة
84	قائمة المصادر والمراجع
/	ملخص



من بين أكثر المواضيع التي عادة ما تتال اهتمام الفلاسفة وغيرهم من المفكرين والسياسيين هي تلك المواضيع التي تشهد إلتقاء مجالي الفلسفة والسياسة في قالب واحد، كالسلطة والعدالة وتطبيق القانون والممارسات القانونية ونظام الحكم الذي يبقى هو الأعلى اهتمامًا خاصة من قبل الفلاسفة الذين يرون أنه لا بد أن نطبق فيه آليات معينة يبتعد فيها المجتمع عن أي فوضى، يمكن أن تنتجها الارتجالية في القرارات ويكون كذلك صالحا مناسبًا هدفه حفظ إنسانية الانسان وتأطير علاقاته الاجتماعية وملكيته ومدى مساهمته في وضع هذا النظام، وتغييره إذا رأى عدم نجاعته أو عدم قدرته على مسايرة السيرورة الإجتماعية.

ويعتبر الفيلسوف الإنجليزي جون لوك (1704 / 1632م)، أحد الذين أسسوا أكثر المقاربات نجاعة في هذا الصدد بحيث تحدد وفقها أدوار السلطة والدولة، وكذلك دور الفرد داخل هذه السلطة الذي يعتبره لوك الدور الأكثر فعالية والمؤسسة المتحكمة الأولى في نجاح أي نظام حكم، حيث أن لهذا الإنسان مجموعة حريات يجب أن يحترمها أي نظام حكم هي حرية الحياة وحرية التملك وأن الحكومات مهما بلغت قوتها لن تكون قادرة على المساس بهذه الحريات، وفقا لعقد معنوي بين الفرد والسلطة سماه لوك بالعقد الاجتماعي، هذا الأخير الذي يعد أساس نجاح نظام حاكم.

ولعل الدراسة التي قام بها بشار مالك سليمان المعنونة بـ : فلسفة جون لوك وأبعادها في جامعة دمشق سنة 2015م، لنيل شهادة الماجستير واحدة من الدراسات التي اعتمدها لتكوين فكرة شاملة عن فلسفة لوك وأبعادها السياسية والثقافية وحتى التربوية، وهناك دراسة أخرى هي عبارة عن شهادة ماجيستر التي قام بها أيضا أرزقي مزهود المعنونة بمفهوم الدولة ومبادئها عند جون لوك، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، سنة 2019-2020، والتي شرح فيها مفهوم الدولة والسياسة وارتباطها الوثيق بالفرد وحرية وملكيته وكيف تعود بجذورها إلى أعماق التاريخ.

وسنحاول في هذه الدراسة الإجابة على تساؤل الإشكالية المطروحة: ماهو نظام الحكم

عند جون لوك؟ وماهي أهم شروط إستمراره؟

وللإجابة على هذا التساؤل حاولنا طرح الأسئلة الجزئية التالية:

أولاً: كيف تطور مفهوم الفكر السياسي باختلاف التصورات والأديان؟

ثانياً: ماذا يقصد جون لوك بالعقد الاجتماعي وماهي الدولة عنده؟

ثالثاً: ماهي أبرز الأفكار والمبادئ التي تميز الفكر السياسي عند جون لوك؟

أسباب اختيار الدراسة:

إن اختيار هذه الدراسة جاء من منبع تأثيرها العميق والجذري على تطور الفكر السياسي الحديث. يعتبر لوك أحد أبرز المفكرين الذين ساهموا في وضع أسس الليبرالية السياسية، حيث قدّم أفكاره في كتابه "مقالة في الحكومة المدنية" التي شكلت إطاراً نظرياً للعديد من المبادئ الديمقراطية المعاصرة مثل فصل السلطات، حقوق الإنسان، والحكومة القائمة على العقد الاجتماعي. تحليل فكر لوك يتيح فهم كيفية تطور المفاهيم الديمقراطية وتطبيقها في الأنظمة السياسية الحديثة، فضلاً عن تقديم رؤى نقدية حول حقوق الأفراد ودور الدولة في حماية هذه الحقوق. لذلك، دراسة نظام الحكم عند جون لوك ليست فقط استكشافاً لتاريخ الأفكار السياسية، بل هي أيضاً وسيلة لفهم التحديات والفرص التي تواجهها المجتمعات الديمقراطية اليوم.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في فهم الأسس التي يقوم عليها النظام الديمقراطي الحديث، حيث يوضح لوك كيفية تشكيل الحكومات الشرعية وضرورة احترام حقوق الإنسان وحياته. كما تساعد دراسة أفكاره في تقييم الأنظمة السياسية الحالية وتحديد مدى توافقها مع مبادئ الحكم المدني والعدالة الاجتماعية.

أهداف الدراسة:

- تحليل فلسفي للحكم: استكشاف فهم لوك للحكم ودور الحكومة في المجتمع بناءً على الطبيعة البشرية وحقوق الفرد.
 - فهم الحقوق الطبيعية: دراسة لوك لمفهوم الحقوق الطبيعية كحقوق أساسية للفرد وما إذا كانت مطابقة للحقوق التي تفرضها الحكومة.
 - الشرعية السياسية: استكشاف مفهوم لوك للشرعية السياسية وما يجعل الحكومة مشروعة في عيني الناس.
 - الحكم الديمقراطي: تحليل وجهة نظر لوك فيما يتعلق بأهمية مشاركة المواطنين في عملية اتخاذ القرار السياسي وأثر ذلك على شرعية الحكومة.
 - القيود على الحكم: دراسة الآليات التي وضعها لوك لتقييد سلطات الحكومة لحماية حقوق الأفراد وضمان عدم تجاوزها لسلطاتها.
- إن الاختيار المنهجي في البحث العلمي أمراً بالغ الأهمية حيث يتوقف على طبيعة ومتطلبات الموضوع المدروس. وفي هذا السياق فإن الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة تتطلب منهجاً يمكنه تحليل القضايا واستناداً إلى أسس فلسفية وفكرية محددة فإن أساس المنهج المعتمد في هذه الدراسة يعتمد بشكل أساسي على التحليل، حيث يهدف إلى فهم وتحليل الظواهر والمفاهيم المطروحة في الاختبار وكذلك تفسير المعاني العميقة والتأثيرات المحتملة، كما استعنا بالمنهج التاريخي في تتبع السياقات التاريخية والاجتماعية للتصور الفكري السياسي الذي بلوره جون لوك ودراسة مدى تأثير مضمونه عبر الزمن ومكاننا هذا المنهج من إدراك الدوافع والمفاهيم التي شكلت نظرياته حول الحكومة والحرية والحقوق. مما يعزز من قدرتنا على تقييم مدى تأثيره على الفلسفة السياسية المعاصرة وعلى الأنظمة السياسية الحديثة.
- وتبعاً لهذا فقد قسمنا الدراسة وفق خطة تتماشى مع العنوان المطروح على النحو الآتي:

مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

وفي مقدمة واشتملت في الأساس على التعريف بالموضوع وقد حددت من خلالها الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع، كما إشمئت أيضا على التساؤلات الأساسية للدراسة وما تفرع عنها من المشكلات، وتناولنا في الفصل الأول مدخلا مفاهيميا تطرقنا في مبحثه الأول جون لوك كتكوين فكري ومساره الشخصي، وأبرز مؤلفاته وفي مبحثه الثاني لتطور الفكر السياسي بصفة عامة، والذي أثر في لوك بصفة خاصة بينما كان الفصل الثاني والذي تناولنا فيه نظام الحكم عند جون لوك وفكرة العقد الاجتماعي ودوافع تبني العقد الاجتماعي في مبحثه الأول والمبحث الثاني وضحنا فيه الدولة من منظور جون لوك وكيفية فصل السلطات وحل الحكومات.

وكان الفصل الثالث بعنوان "الفكر السياسي عند جون لوك" والذي افتحناه بتبيان الفكر السياسي عند جون لوك. وأبرز المفاهيم فيه كالليبرالية والديمقراطية واختتمناه بقراءة نقدية للإنجليزي جون لوك.

صعوبات البحث:

وواجهتنا العديد من الصعوبات في إنجاز هذا البحث، والتي على قدر المستطاع على تجاوزها، ويمكن تصنيفها كما يلي:

- تعقد الموضوع وإتساعه، الأمر الذي جعلني أجد صعوبة بالإلمام بجميع جوانبه.
- الجانب المعرفي للموضوع، إذ يتطلب منا الإلمام بالحقائق لمعرفة فهمه.
- تضارب الآراء والنقاد بين المؤيد لفكر لوك والمعارض له والتي كانت هي سبيل في شرح فكره والذي يعد بدرجة أكثر صعوبة وتعقيد.

الفصل الأول: مدخل مفاهيمي

◀ تمهيد

- ◀ الفصل الأول: مدخل مفاهيمي.
- ◀ المبحث الأول: جون لوك في الفكر والشخصية.
- ◀ المطلب الأول: التعريف بجون لوك.
- ◀ المطلب الثاني: منطلقات فكر جون لوك.
- ◀ المطلب الثالث: مؤلفاته.
- ◀ المبحث الثاني: تطور الفكر السياسي
- ◀ المطلب الأول: الفكر السياسي اليوناني.
- ◀ المطلب الثاني : الفكر السياسي المسيحي.
- ◀ المطلب الثالث : الفكر السياسي عند المسلمين.

تمهيد:

جون لوك (1632-1704) يعتبر أحد رواد الفكر الفلسفي السياسي الحديث. استمدت الفلسفة السياسية عندما كانت في زمنه على ما ورثه من تفكير فلسفي سابق، لكنه قدم إسهامات فريدة من نوعها. تميزت فلسفته بتحليل متعمق ومتربط نظرياً وفكرياً لمفاهيم السلطة، الدولة، المجتمع، وغيرها. على الرغم من دراسته لتراث الفلاسفة السابقين مثل أفلاطون وأرسطو، إلا أنه استجاب بحساسية لظروف عصره، ما دفعه لصياغة أفكار فلسفية تتناغم مع تطورات العصر واحتياجاته. في هذا السياق، انقسم بحثنا إلى مبحثين نتناول فيهما، جون لوك في الفكر والشخصية (كمبحث أول)، بالإضافة التطرق إلى الفكر السياسي وتطوره (كمبحث ثاني).

المبحث الأول: جون لوك في الفكر والشخصية

المطلب الأول: تعريف جون لوك

يعتبر الفيلسوف الإنجليزي جون لوك واحد من مؤسسي الحداثة الفلسفية والسياسية في إنجلترا، وقد عاش لوك 72 عاما والتي يراها المؤلفين الذين تحدثوا عن حياة لوك في كتبهم فترة كافية على اعتبار انه من بين أهم الفلاسفة إنجلترا خلال العصر الحديث.

حياته:

ولد جون لوك **John Locke** في 29 اغسطس 1632، في وينجينتون **Winston** بمقاطعة سومرست **Somerset** في إنجلترا، خلال فترة حكم الملك شارل الأول وقد نشأ الفيلسوف في أسرة ذات صيت سياسي عريض على الرغم من انتمائها للطبقة الوسطى في المجتمع الإنجليزي، (حيث كان والد لوك محاميا حرص على أن يوفر لابنه اهتمام خاص بأن يوفر له تربيته استقلالية متحررة، كانت أمه تعيش حياة أسرية هادئة قبل ولادته، ولكنها انتهت بموتها وتركته صغيراً، ما جعل والده مسؤولاً عن تربيته¹.

والد جون لوك في ذلك الوقت يمتلك قطعة أرض، ورغم أنها لم تكفي لحياة النبلاء، إلا أنها كانت كافية ليمنح ابنه اللقب النبيل فيما بعد، وأنظم إلى *مدرسة وستمنستر².

لوك قضى سنوات في مدرسة وستمنستر حيث تعلم اللغات القديمة حيث أن البرنامج لم يكن يشمل على العلوم الطبيعية إلا القليل من الجغرافيا، ولما بلغ الـ 20 التحق بجامعة اكسفورد

¹ عبد المنعم عباس، جون لوك اما الفلسفة التجريدية، دار النهضة العربية، الاسكندرية، 1996، ص17.

* **مدرسة وستمنستر**: هي مدرسة عامة تاريخية في وستمنستر لندن، إنجلترا داخل حرم دير ديروستمنستر وبجانب المجلس البرلماني.

² جون دن، جون لوك مقدمة قصيرة جدا، تر فايقه جرجس حنا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2016 ص18.

لدراسة اللاهوت، لم يكن مهتما بالفلسفة حتى قراءته لأعمال *ديكارت، حيث بدأ يفكر في الجانب الأخلاقي من الدين بشكل أعمق من الجوانب الاعتقادية¹.

إن *شافتسبري كان شخصية سياسية بارزة في بلاط *تشارلز الثاني خلال الفترة الممتدة بين عامي 1667م و1683م كان قائدا لإحدى المعارضة السياسية القومية التي أثرت على البلاط، ووصلت في نهاية المطاف إلى تهديد للنظام القائم، تأثرت مسارات نجاحاته وفشله بشكل كبير على خيال لوك، الذي استوحى منه فهماً عميقاً للمسؤوليات الاقتصادية للدولة الإنجليزية في السوق المحلية والتجارة الخارجية².

لوك كان محظوظاً لأنه استطاع استكشاف مجالات متنوعة من الفلسفة والسياسة، وعلى الرغم من فشله في العمل الدبلوماسي، فقد وجد طريقه إلى العمل الأكاديمي في جامعة إكسפורد حيث استمر في أبحاثه الفلسفية ومن ثم قرر الانتقال إلى فرنسا للاستمرار في رحلته الفلسفية والعلاج هناك³.

*رينيه ديكارت: (31 مارس 1596م) - فبراير 1650 فيلسوف وعالم رياضي وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ "أبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي مازالت تدرس حتى اليوم، وديكارت هو الشخصية الرئيسية المذهب العقلانية في القرن 17 الميلادي، كما كان ضليعاً في علم الرياضيات، فضلاً عن الفلسفة وهو صاحب المقولة الشهيرة التي تدعى الكوجيو "أنا أفكس إذا أنا موجود".

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص ص 134-135.

*شافسيري: (اللورد آشلي): كان أنتوني آشلي كوبر، إيرل شافتسبري السابع الملقب باللورد آشلي منذ 1811م حتى 1985م، سياسياً بريطانيا محافظاً ومحسناً ومصلاً اجتماعياً، كان الإبن الأكبر لإيرل شافتسبري، كان من أوائل المؤيدين لحركة الصهيونية وشخصية قيادية في الحركة الإنجليزية في كنيسة إنجلترا، أطلق عليه إسم «إيرل الفقراء».

*تشارلز الثاني: 1630/05/29م، قصر سانق جيمس لندن، هو الحاكم للمالك الثالث إنجلترا، إسكتلاندا، إيرلندا، أعدم والد تشارلز الثاني الملك تشارلز الأول، يتشهر تشارلز الثاني بأنه أول ملك إستعاد الملكية عام 1660م، بعد أن تم إلغاؤها خلال الحروب الأهلية الإنجليزية، توفي في قصر وايت هول بلندن خلال 1685/02/06.

² جون دن، جون لوك، مقدمة قصيرة جداً، نفس المرجع السابق، ص 20.

³ ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، دار الوفاء دنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، دط، 2001، ص 254.

وكانت إهتمامات لوك متعددة فلسفية وطبية وسياسة وغيرها من الإهتمامات البشرية.

ومات لوك نتيجة الضعف الذي كان يعانيه من مرض الربو في 28 نوفمبر عام 1704م¹.

المطلب الثاني: منطلقات فكر جون لوك:

أ- المرجعية العلمية والفلسفية:

لقد إستلهم لوك فكرته حول الصفحة البيضاء من أفكار أرسطو حول الطفل الذي يولد بدون معرفة مسبقة ويكتسب المعرفة من خلال الخبرات الحسية، يرى أرسطو أن النفس تبدأ كجدول فارغ خلال الحواس وهذه الفكرة تظهر أيضا في كتاب النفس الذي كتبه أرسطو، حيث يشير إلى أن الإدراك يعتمد على الحواس، ومن هنا يربط لوك هذه الفكرة برفضه للأفكار الفطرية، مؤكداً على أن الإدراك والفهم يأتيان من الخبرات الحسية، وليس من المعرفة المسبقة الموروثة².

يعتقد لوك أن معارف الإنسان تكتسب من خلال تجاربه مع العالم الخارجي وكمثال على ذلك تفكر في معرفتنا بالتفاح. يتساءل ما إذا كانت معرفتنا بالتفاح فطرية أم مكتسبة؟ أي هل ولدنا بفكرة عن التفاح وصفاته؟ أم أننا نكتسب هذه المعرفة من خلال تفاعلنا مع العالم الخارجي، لتحديد ذلك يقترح لوك أن نفكر فيما إذا كنا نعرف مفاهيم مثل "الإستدارة" و"الحلاوة" و"الإحمرار"، قبل أن نصادف التفاح وإذا كان الأمر كذلك فمن الممكن أن تكون معرفتنا بالتفاح فطرية، ومع ذلك يجادل أنه من المرجح أن نكتسب معرفتنا بالتفاح من خلال الإستدلال على سبيل المثال، قد نلاحظ أن التفاحة المستديرة مثل الكرة، ثم نستنتج أن التفاح مستدير، أو قد نلاحظ أن البرتقالة مستديرة أيضا، ونستنتج أن الإستدارة هي سمة مشتركة للعديد من الفواكه.

¹ ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكرت الى هيوم، نفس المرجع السابق، ص 254.

² فاروق عبد المعطي، جون لوك من الفلاسفة الانجليز في العصر الحديث، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993، ص 18.

ويختتم لوك بالقول أن معرفتنا بالتقاح مكتسبة من خلال استنتاجاتنا من تجاربنا مع العالم الخارجي¹.

إختار لوك الطريقة الثانية الإستدلال والاستنتاج والتي وصفها بأنها محبة للخبرات الحسية، وذلك لأنه رفض الفكرة الأولية القائلة بأن المعرفة فطرية، أي موجودة في العقل منذ الولادة. يؤمن لوك بمعطيات الخبرة الحسية أي أننا نكتسب المعرفة من خلال تجاربنا مع العالم الخارجي ويرى أن العقل صفحة بيضاء عند الولادة وأن الخبرات الحسية تطبع عليها، وتنظم لتصبح إدراكات حسية. إذن فإن قيمة العقل الإيجابية وفقاً للوك تكمن في قدرته على إستقبال وتحليل الخبرات الحسية واستخدام الإستدلال والإستنتاج لإستخلاص المعرفة منها، بعبارة أخرى يعتقد لوك أن العقل ليس مجرد مستودع للمعرفة الفطرية ولكنه أداة نشطة تستخدم الخبرات الحسية لبناء المعرفة².

روني ديكارت 1596م - 1650م بالفعل كان له تأثير كبير على جون لوك في العصر الحديث، حيث لاحظ لوك الوضوح في فكر ديكارت وتميزه عن الفلسفات القديمة الوسطى، قراءته لأعمال ديكارت أثر بشكل كبير على اهتمامه بالفلسفة وأظهرت له أن التفكير الواضح ومنظم ممكن داخل مجال الفلسفة كما هو ممكن خارجها³.

¹ رواية عبد المنعم عباس، جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1996، ص 70.

² المرجع نفسه، ص 70.

³ فردريك كوبلشون، تاريخ الفلسفة (المجلد الخامس)، تر: محمود سيد احمد، المجلس الاعلى للثقافة، 2003، ص 95.

جون لوك لم يكن الفيلسوف التجريبي الأول بل تأثر *بفرنسيس بيكون وتوماس هوبز* ، الذين اعتمدوا المنهج التجريبي في أبحاثهم، قاموا بتمهيد الطريق له وجعلوا من الضروري إتباع هذا المنهج للرد على الفلسفة الفطرية¹.

إن الفلسفة والأفكار التي طرحها لوك كانت ذات طابع تجريبي نابغة من كتاب "الأرجانون الجديد" لفرنسيس بيكون، وتركزت الفلسفة لوك على أهمية التجربة والملاحظة وبيكون أسس فكرة الإمكانية الإنسانية لفهم واستكشاف الطبيعة، بينما ركز لوك على دور تجربة في تشكيل المعرفة الإنسانية².

ب- المرجعية السياسية:

تجسدت الفلسفة اليونانية في هذه المرحلة *الفسطائية*، حيث تحولت الانتباه من الأساطير والدين إلى الاهتمام بالتفكير النقدي والبحث عن الحقيقة والمعرفة العلمية، كانت هذه الفترة حاسمة في تطور الفلسفة والثقافة الغربية، حيث أسهمت في إنشاء العديد من المفاهيم والأفكار التي لا تزال لها تأثيرات بارزة، لوك بالفعل كان متأثرًا بالفكر الفلاسفة والسياسيين مثل الفسطينيين، وإعتبر إشكالية الحرية في الفكر الفسطيني مسألة مهمة، ويعتبر الفلاسفة الفسطينيين من بين الأوائل الذين ناقشوا حقوق الإنسان وحرية الفرد، وهذا ما يجذب

* بفرنسيس بيكون 1561/01/22م: 09 أبريل 1626م، فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي معروفة بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على الملاحظة والتجريب من الرواد الذين إنتبهوا إلى عدم جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس.

* توماس هوبز 1588/04/05م: هو عالم رياضي وفيلسوف إنجليزي إشتهر بأعماله في الفلسفة السياسية نشر كتابه لويثان عام 1651م، والذي كان الأساس لمعظم الفلسفة السياسية الغربية من منظور نظرية العقد الاجتماعي، توفي خلال 1679/12/04م.

¹ ابراهيم مصطفى ابراهيم الفلسفة، الحديثة من ديكرت الى هيوم، نفس المرجع السابق، ص 251.

² فاروق عبد المعطي جون لوك من فلاسفة الانجليز في العصر الحديث، نفس المرجع السابق، ص 27.

* الفسطائية: الفسطيني باليونانية صفة نبعت من مصطلح كلمة فسطة، وهم كانوا نوعًا محددًا من المعلمين في اليونان القديمة في القرنين الرابع والخامس ق.م، تخصص العديد من الفسطينيين في استخدام أدوات الفلسفة والبلاغة.

إهتمام لوك ودفعه للتأمل في هذه القضايا. السفطائيون كانوا يرون بأن التربية وسيلة لتعزيز الحرية الفردية وتوعية الشباب بحقوقهم المدنية كانت الحرية بالنسبة لهم حقا طبيعيا يجب أن يتمتع به الفرد دون قيود غير مبررة، وهذا ما دفعهم لمحاربة الظلم والاستبداد في جميع أشكالها، سواء كانت دينية او طبيعية أو فكرية أو سياسية¹.

فكرة العقد الإجتماعي كانت محورية في فلسفة الفلاسفة السفطائيين، إعتبروا أن البشر يتفقون على قوانين وتنظيمات إجتماعية لحماية حقوقهم وضمان النظام والأمان، وقد ألهمت هذه الفكرة الفلاسفة في عصر التنوير في أوروبا مثل جون لوك و*جان جاك روسو في تطوير فهمهم لعلاقة الفرد والدولة وحقوق الإنسان².

يعتبر العقد الإجتماعي مفهوما أساسيا في فلسفة الحكم السياسي، حيث ينظر إليه كآلية لتحقيق المصالح المشتركة للأفراد وتنظيم الحياة الاجتماعية، وفي هذا السياق يعتبر توماس هوبز وجون لوك من بين الفلاسفة الذين ناقشوا هذا الموضوع، حيث أشاروا أهمية العقد الإجتماعي في تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتحديد حدود سلطته أي أن السلطة السياسية هي سيادة الشعب.

كما إستمد لوك فكرة العقد الإجتماعي أيضا من مواطنه توماس هوبس وكان له دور في تأسيس الفكر السياسي الحديث، حيث أسهم بأفكاره حول الحالة الطبيعية للإنسان وأهمية العقد

¹ محمود مراد، المصادر السفطائية اليونانية لحقوق الانسان، أبحاث المؤتمر الدولي الثاني لقسم الفلسفة (الفلسفة وحقوق الانسان) المجلس الاعلى للثقافة، 2010، ص 152.

* **جان جاك روسو**: ولد في جينيف 1712/06/28م، وتوفي بإيرمينونفيل - فرنسا، 1778/07/02م، وهو كاتب وأديب وفيلسوف يعد من أهم كتاب عصر التنوير وهي فترة من التاريخ الأوروبي، ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية ويعتبر كتابه العقد الاجتماعي حجر الزاوية في الفكر السياسي الاجتماعي الحديث.

² محمود مراد، المصادر السفطائية اليونانية لحقوق الانسان، نفس المرجع السابق، ص 154.

الاجتماعي في تأسيس المجتمعات السياسية والسلطة السياسية، كما أنه إستعرض مفاهيم مثل السيادة والحرية وشكل الحكومة مما أثر بشكل كبير على الفكر السياسي في العصور اللاحقة¹. إذا فلقد استعار لوك فكرته الأساسية عن الحالة الطبيعية من هوبز²، إلا أنه قد اختلف معه في تصويره للحالة الفطرية الطبيعية، حيث كان يركز على الحرية، المساواة، التسامح والتعايش السلمي، تحت سيادة القانون الطبيعي فقد يبدو أن لوك وهوبز اتفقا على فكرة وجود الحالة الطبيعية قبل المجتمع المدني، ولكن كان لدهما تصورات مختلفة حول طبيعة هذه الحالة الفطرية وتأثيرها على تشكيل المجتمع المدني، ومع أنه هوبز ولوك يروجان لفكرة التعاقد الإجتماعي كأساس للمجتمع المدني إلا أنهما يختلفان في تفاصيل ومضمون هذا التعاقد، حيث تختلف النصوص والمواد والروح التي يعتمدون عليها في فهم وتسيير هذا المفهوم³.

والد جون لوك كان محلميا وشارك في الحرب الأهلية الإنجليزية في صف البرلمان، وهذا ربما كان له تأثيرا على فكر جون لوك السياسي لاحقا، تأثرت آراءه سياسية بفكره أهمية البرلمان ودوره في تمثيل الشعب وتقييد سلطة الملك، وكتب لوك بشكل مكثف عن مبادئ الحكومة والحرية الفردية وحقوق الإنسان والتي أثرت بشكل كبير على الفلسفات السياسية الغربية والنظم الديمقراطية الحديثة⁴.

هذا التأثير الأبوي يكون له دور في تشكيل أفكار جون لوك حول الحكم والسياسة، فقد أسس أفكاره على مبادئ السيادة مثل المقالات عن الحكومة المدنية التي وضع فيها أسس العقد الاجتماعي وحق الشعب في مقاومة الاستبداد وهكذا "وجد جون لوك نفسه منذ البداية غارقا

¹ ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، نفس المرجع السابق، ص 250.

² عبد الرضا حسين طعان وعامر حسني فياض وعلي عباس مراد، مدخل الى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 2008، ص 84.

³ على عبد المعطي، تيارات الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص124.

⁴ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص 146.

في السياسة، فهو يعيش أحداث الحرب الدامية فهي الحرب الأهلية في إنجلترا بين الملك شارل الأول والبرلمان وقف يناصر قضية البرلمان ويدافع عنها وشرح لابنه نظريتي لسيادة الشعب والحكومة النيابية التي تحتاج إليها البلاد، وبقي الفتى مخلصا لهذه الدروس مؤمنا لها شاكرا ومعتزفا¹.

عاش جون لوك حياته في إكسفورد حيث عمل كباحث ومدرس، بالإضافة الى ذلك كان لوك مهتما بممارسة الطب وأظهر مواهبه الملحوظة في هذا المجال، وأثناء ممارسته للطب التقى لوك *بلورد أشلي وهو شخصية بارزة في بلاط الملك *تشارلز الثاني.

هذا اللقاء كان محض صدفة لكنه كان نقطة تحول في حياة لوك، حيث قاده إلى عالم السياسة والفلسفة، وأثر بشكل كبير على تطور أفكاره ونظرياته التي كان لها تأثير طويل الأمد على الفلسفة الغربية، زيارة لورد أشلي الى إكسفورد جاءت لشرب المياه المعدنية الفلاحية في أستروب وكان هذا اللقاء الأول مع جون لوك مصادفة ولكنه أثر بشكل كبير على حياة لوك، في غضون عام من هذا اللقاء الأول، انضم لوك إلى حاشية أشلي في لندن ليصبح طبيباً شخصياً ومستشاره في العام الثاني، خضع لورد أشلي لعملية جراحية كبيرة لاستئصال كيس متقيح على الكبد، وكانت هذه العملية تحت إشراف لوك، نجحت العملية بشكل مذهل، وحقق لوك من خلالها سمعة طيبة كطبيب وممارس ماهر، هذا النجاح فتح أمام لوك أبواباً جديدة في الدوائر السياسية والفكرية وسمح له بالتواصل مع مجموعة من الشخصيات البارزة في لندن ومن خلال وجوده في حاشية أشلي، أصبح لوك على دراية أكثر بالأحداث السياسية والأفكار الفلسفية مما ساهم في تشكيل آرائه ونظرياته، التي ستكون لها تأثيرات بعيدة المدى في المستقبل².

¹ امام عبد الفتاح امام، الأخلاق والسياسة المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص283.

² جون دن، جون لوك مقدمة قصيرة جداً، تر: مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، مصر، 2016، ص 20.

بعد نجاح جون لوك في عملية اللورد "انطوني آشلي" Anthony Ashley (1621 - 1683) بتقريبه منه، وبعد ذلك في عام 1667 أصبح لوك يخدمه كطبيب وصديق وأمين سر بالإضافة الى ذلك، استفاد آشلي من مهارات وخبرات لوك حيث قام بتعيينه في العديد من الوظائف السياسية، ما أمكن لوك من اكتساب خبرة كبيرة في السياسية، وكانت هذه الخبرة الدافع القوي لدخول لوك عالم السياسة من أوسع ابوابه، اللورد آشلي المعروف لاحقا باسم إيرال شافيشيري، كان رجلا ذو تأثير كبير في السياسة والأخلاق خلال فترة الحكم الملك تشارلز الثاني، كان شافيشيري ناشطا جدا في المشهد السياسي، لكنه واجه صعوبات ومشاكل بسبب معارضته للاستبداد، القي القبض عليها وزُج به في السجن لكنه نجح في الفرار إلى هولندا، تأثر شافي شيري على جون لوك كان كبيرا، خاصة فيما يتعلق بكرهيته للاستبداد بكل أشكاله، هذا تأثير شكل جزءًا من فلسفة لوك السياسية، التي دعت إلى الحرية والحقوق الفردية، يعد لوك أحد أبرز الفلاسفة المؤثرين في القرن السابع عشر، حيث أسهمت أفكاره في تشكيل أسس الليبرالية والديمقراطية الحديثة¹.

أفادت تجربة لوك في مرافقة اللورد أنطوني آشلي كثيرا بتوجيهها وتقديمها له خبرات مهمة في مجال السياسة وتسيير شؤون الدولة ساعده هذا الارتباط الوثيق مع لورد آشلي المعروف أيضا باسم شافيسيري، على تعلم العديد من الأمور التي تتعلق بالحياة السياسية والاجتماعية، لقد أتاحت له هذه التجربة رؤى عملية جديدة وسعت أفاقه بشكل ملحوظ، يعتقد أن التأثير القوي الذي أحدثه اللورد آشلي في لوك يعود جزئيا إلى الفرص التي وجدها لوك للعمل شافيسيري، هذا بالإضافة إلى الرغبة الشديدة التي أظهرها في التعلم والتطوير، كان لهذا التأثير أثر كبير على أفكار لوك لاحقا، بما في ذلك رؤيته للحرية الفردية وحقوق الإنسان

¹ امام عبد الفتاح امام، الاخلاق والسياسة، نفس المرجع السابق، ص283.

والحكومة الدستورية، تعد هذه المفاهيم جزءًا من أساس الفلسفة السياسية الحديثة مما يبرز أهمية التجربة التي خاضها لوك بفضل مرافقته للورد آشلي¹.

يعتبر الشافيتيسري أحد الشخصيات السياسية البارزة في إنجلترا، وله تأثير عميق على لوك، مما أدى إلى تشكيل رؤيته الاقتصادية والفكرية من خلال تعليم لوك فهم المسؤوليات الاقتصادية للدولة في الأسواق المحلية والتجارة الخارجية، قدم شافيتيسري توجيهها جوهريًا حول دور الدولة في الاقتصاد، كما غرس في لوك فهما لضرورة التركيز على عوامل الازدهار الاقتصادي واعتبارها جزءًا حيويًا من فن الحكم وإدارة شؤون الدولة، لم يقتصر هذا التوجيه فقط على الرؤية الاقتصادية ولكن أيضا على فهم أوسع لكيفية تقييم المجتمعات بناءً على إمكانياتها الاقتصادية، حيث لعب شافيتيسري دورًا رئيسيًا في تنمية أفكار لوك حول طبيعة الحكم والاقتصاد، وفي النهاية كانت هذه التعاليم حاسمة لتسخير طاقات لوك الفكرية بطريقة فعالة ما أكسب شافيتيسري الفضل تطور فكر لوك الاقتصادي².

المطلب الثالث: مؤلفات جون لوك

لوك يعتبر من أبرز الفلاسفة في تاريخ الفكر الغربي وكتبه تعتمد على فلسفة الإلحاد وتشجيع التفكير المستقل ورفض التمسك بتقاليد العتيقة، يسعى في مؤلفاته إلى تعزيز حرية العقل والتحليل النقدي، سواء في المجالات السياسية أو الأخلاقية أو الدينية تركز أعماله على تشجيع الفرد على إتخاذ قراراته بناءً على العقل والتفكير النقدي بدلا من الإعتماد على التقاليد والموروثات الثقافية، ولا تقتصر كتاباته على المسائل، الفلسفية فحسب بل خاصة في كل المجالات، كالسياسة والاقتصاد والتربية واللاهوت والفلسفة والعلم الطبيعي³.

¹ جون دن، جون لوك مقدمة قصيرة جدا، نفس المرجع السابق، ص22.

² المرجع نفسه، ص ص21-22.

³ زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة السلسلة الفلسفية للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1999، ص197.

اهم مؤلفاته:

1. مقالة في الفهم البشري (الإنساني) am Tossay Concerning Human Unders 1681
Tandins.

وقد نشرت المسودة الأولى من مقالة "الفهم البشري" عام 1936 وبعدها. مقالة الثانية عام 1931.¹

هو خير ما كتب فقد وضح في الكتاب باختيار العقل البشري نفسه أولاً لكي يثبت من مقدرته وصلاحيته على اكتساب المعرفة الصحيحة.²

2. رسالة في التسامح 1692: Aletter Concerning Tolerations

ظهرت باللغة اللاتينية وترجمة عام 1689 ونشرت الرسالة ثانية في التسامح عام 1690 ثم الثالثة عام 1692.³

فقد دافع فيه عن حق الأفراد في الحرية الشخصية، ويتضمن ذلك حرية التعبير عن الآراء والمعتقدات دون قيود من الحكمة أن تحترم المجتمعات هذا الحق وتسمح للأفراد بالتعبير عن أفكارهم دون تعرض للقمع أو العقاب.⁴

3. رسالتين في الحكومة 1690 Two Treatises Of Covermment (1694) تكرر ظهورها.

تضم موضوعات سياسية وثورية دفعته لكتابتها الأحوال السياسية وخبرته في العمل السياسي.⁵

¹ فاروق عبد المعطي، جون لوك، من فلاسفة الانجليز في العصر الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993-1413، ص86.

² زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، نفس المرجع السابق، ص 109.

³ ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، ص255.

⁴ زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، ص109.

⁵ ابراهيم مصطفى ابراهيم، نفس المرجع السابق، ص 255-256.

4. بعض الأفكار في التربية 1693-1695 Concerning Some Thoughts
Education.
5. معقولية المسيحية 1695 Reasonableness of christianity
وله في ذلك دفاعان عن رأيه، ظهر الأول عام 1695 بينما ظهر الثاني عام 1697.
6. كيف يعمل العقل Of The Coaduct Of Understanding.
7. دراسة لرأي مالبرانش في رؤية الأشياء في الله 1706.
8. البحث في المعجزات 1706 a discourse on miractes.
9. ذكريات تتعلق بحياة شافيسري 1706 memories relating to the life of antony
first earl of shaftesbury.
10. الآثار الباقية من جون لوك 1714 The Ramais Of John Tocke¹.

¹ ابراهيم مصطفى ابراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، ص ص 255-256.

المبحث الثاني: تطور الفكر السياسي

المطلب الأول: الفكر السياسي اليوناني

من المهم عند دراسة تاريخ الفكر الفلسفي والإنساني أن نكون حذرين من الإدعاء بأن المرحلة اليونانية هي المحطة الأولى والوحيدة التي إنطلق منها التفكير الفلسفي، صحيح أن الفلاسفة اليونانيين مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو كان لهم تأثير كبير على الفكر الغربي، ولكن التاريخ يشهد على وجود حضارات أخرى سبقتهم وأسهمت بشكل كبير في نشأة وتطور الفكر والمعرفة الحديده من الحضارات القديمة، مثل الحضارة المصرية والبابلية والفينيقية والهندية والصينية، كانت لها مساهمات كبيرة في مجالات مختلفة مثل الفلسفة والعلوم والفنون والقانون والدين وعلى سبيل المثال الحضارة المصرية القديمة كانت تتمتع بنظام معقد من الكتابة الهيروغليفية والرياضيات والهندسة، بالإضافة الى الفلسفة الدينية والميتافيزيقية، الحضارة البابلية أسهمت في تطوير علم الفلك والرياضيات، بالإضافة الى القانون (مثل قانون حمورابي)، الحضارة الهندية قدمت أفكارا فلسفية ودينية عميقة " بالإضافة الى مساهماتها في مجال الرياضيات والفلك والطب، الحضارة الصينية أثرت بشكل كبير في الفلسفة، من خلال مدارس فكرية، مثل الكونفوشيوسية والداوية كما كانت لها تطورات كبيرة في العلوم والتكنولوجيا¹.

بالتالي من الإنصاف والأمانة والموضوعية عند دراسة تاريخ الفكر الفلسفي والإنساني أن تأخذ بعين الاعتبار الجهود والمساهمات التي قدمتها هذه الحضارات العظيمة وعندما نقوم بذلك، ندرك أن الفلسفة والفكر الإنساني هما إنتاج تراكمي، ساهمت فيه العديد من الشعوب والثقافات عبر التاريخ.

¹ أرزقي مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك، رسالة ماجستير كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم الفلسفة بوزريعة، الجزائر 2، 2019-2020، ص17.

لكن فيما يتعلق بالفلسفة كشف فكرية منظم ومنسجم وذو منهج: يمكن أن نقول إن اليونانيين كانوا سابقين الى ذلك لم تعد الفلسفة قبل أفلاطون أن تكون مجموعة من آراء متناثرة ونظريات وملاحظات لم تتسع بحيث تشمل الكون بأسره وكان أفلاطون أول شخص في تاريخ العالم يتبع مذهباً شاكلاً عظيماً في الفلسفة وهو مذهب له تشعباته في جميع أنحاء الفكر والواقع.

وبالتالي نستخلص أن الفلسفة السياسية ظهرت وكتبت لأول مرة انطلاقاً من الظروف والحياة السياسية التي سادت عند اليونان وهم من صاغوا نظريات عن الحكم والسلطة والدولة، فهذا لا يعني أن الحضارات الأخرى لم يكن لديها أي نوع من النظام السياسي أو الأفكار المتعلقة بالحكم في المجتمعات الشرقية القديمة كانت السلطة غالباً ما ترتبط بالإلهية حيث كان الحاكم يعتبر ممثلاً للآلهة أو يتلقى شرعيته من قوى العليا، ولكن هذا لا يعني، أنهم لم يطوروا وقوانين تخص الحكم على العكس نجد الكثير من النصوص التي، تظهر أن تلك الحضارات كانت لديها نظم سياسية معينة، وطرق للإدارة المجتمع، ولكن طبيعة الفكر اليوناني والمستوى الذي، بلغه من خلال أعمال كبار مفكره وفلاسفته وتأثيره العميق على ما أتى فيما بعد من فكر ونظريات جعل من العصر اليوناني احدى النقاط المرجعية والمحطات التاريخية في الفلسفة السياسية¹.

لهذا تعتقد ان البحث في تاريخ الفلسفة السياسية يقتضي الوقوف على فكر هذين الفيلسوفين وهما أفلاطون وأرسطو.

أفلاطون (428 ق.م): حيث عاش فترة عصبية من فترات حياة اثينا السياسية.²

فلسفته السياسية تبرز من خلال محاوراته أهمها: محاورة الجمهورية والسياسية والقانون.

¹ ارزقي مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك، ص من 85 إلى 89.

² أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية شاريخها ومشكلاتها، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 155.

وأفلاطون رأيه في الدولة المثالية:

"لقد اتفقنا الآن على أن الدولة التي تطمح إلى أن تحكم حكما مثاليا يجب أن تجعل النساء والأطفال مشاعا وينبغي أن يتلقى الرجال والنساء فيها نفس التعلم في جميع مراحلهم ويتقاسموا كل المهام والمناصب سواءا منها الحربية او التعليمية، كما ينبغي أن نتخذ ملوكا من أولئك المواطنين امتيازهم في الفلسفة والحرب"¹، صنف فيها أنواع الحكومات الحكومة الأريستقراطية ينهي العقل للحماية أو القوة الغضبية يحكمها رجال لا يسعون للحكمة، حكومة الأوليغاركية والديموقراطية هي أفضل أنواع الحكم حكم الفيلسوف، والملاحظ في قوله أنه يركز على أهمية التعليم لكي يتمكنوا من تولي المناصب الملائمة بكل فئة والحكماء هم الملوك .

أما الشروط المحددة لقيام الدولة²:

- بعدها عن الساحل، يفضل أن تقوم الدولة على الزراعة .
 - العيش على أرض كافية لسداد حاجاتها وأن تكون وعرة وقاسية لتكسب سكانها الحماية من الأعداء.
 - تأسيس نظام المجلس وتتكون المحاورة من اثن عشر كتاب.
- أرسطو (384 - 322 ق. م):** يعد أرسطو من أعظم الفلاسفة في التاريخ ولا يناظره من حيث التأثير الفلسفي، إلا أستاذه أفلاطون. ولد سنة 384 ق. م بمدينة اسطا غيرا وهو تلميذ لأفلاطون، إلتحق بأكاديمية أفلاطون أعجب به وسماه بالقراء أو عقل المدرسة³.
- كتاب السياسة لأرسطو المؤلف الرئيسي لفلسفته السياسية حيث كتبه على فترات تطورت فيه أفكاره.

¹ أميرة حامي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، دط، القاهرة، 1955، ص من 13 إلى 17.

² المرجع نفسه، ص 23.

³ أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية - تاريخها، نفس المرجع السابق، ص 223.

الكتاب الثاني والثالث والسابع والثامن يضم دراسات حول نظريات في الدولة المثالية. الكتاب الرابع والخامس والسادس: تدرس أنواع الحكومات الواقعية المختلفة والقوى الاجتماعية الموجهة للنظم السياسية والتطبيق العملي لفن الحكم¹. أنواع الحكومات الصالحة ملكية أو أرستقراطية أو بوليتيا أي الديمقراطية المعتدلة اما الفاسدة فهي الطغيان والأوليغارشية الديمقراطية الفاسدة، ولا يختار نوعا معيناً لأنه لكل حكم ظروف يصلح فيه معينه. ومهمة الدولة مهمة التربية لضمانها وتنشئة والمواطن². أثينا وأسبرطة كانت مدينتين رئيسيتين في اليونان القديمة الترجمة لكنها اختلفا بشكل كبير في نهجهما السياسي والاجتماعي، في أثينا تطورت الديمقراطية كنهج سياسي يرتكز على الحرية الفردية والمشاركة المدنية هذا النظام الديمقراطي أصبح نموذجا مرجعيا للعديد من الأنظمة السياسية، الحديثة، حيث تعني الديمقراطية حكم الشعب، اذن يمثل النظام السياسي الأثيني روح الديمقراطية والانفتاح³.

المطلب الثاني: الفكر السياسي المسيحي :

القديس اغسطين:

يعد القديس أوغسطين البداية الحقيقية للفكر الفلسفي المسيحي. لقد ولد أوغسطين لاب وثني وأم مسيحية في الثالث عشر من نوفمبر عام 453م. فمدينة تدعى **تاجست Tagaste** تعرف اليوم بسوق أهراس بالجزائر.

¹ أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية، نفس المرجع السابق، ص29.

² المرجع نفسه، ص34.

³ مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيفيا، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص

لقد تقلب الحال بالشباب المراهق الذي قضى فترة شبابه منكبا على العلم والدراسة فقد قرأ أرسطو وشيشرون وأعجب بسقراط وأفلاطون واستهوته المانوية فمال الى أفكار المانويين من أصل الكون ونهاية العالم ووجود الخير والشر.

وقد أسس في قرطاجة لمساعدة أحد اثريائها معهدًا لتدريس الخطابة بعد ذلك المعهد التعليمي من قرطاجة الى روما ثم الى ميلانو. وتطور به الحال إلى أن أصبح أسقفا خدم الكنسية أربعة وثلاثين سنة كان في خلالها المرجع الوحيد للجميع ولم يكن خلالها عن الكتابة والتأليف رغم كثرة مشاغله الإدارية والروحية، حتى وفاته في الثلاثين من اغسطس عام 430م.

بينما كان أفلاطون يبني فكرته عن العدالة داخل انفراد بإيجاد نوع من التوازن بين تحقيق مطالب قوى النفس المختلفة، بينما القديس أوغسطين مفهومه عن العدالة على علاقة الانسان بالله فالعدالة" داخل الفرد بين قوتي الخير والشر لن تتحقق بتلبية مطالب النفس خاصة الشهوانية منها، أي أن العدالة الإنسانية أساسها العودة الى الله والإلتزام بكل جوانب العقيدة الدينية¹.

موقف أوغسطين السياسي:

أنه يؤمن بأن المثل الأعلى للدولة هو بلا شك المثل المسيحي، الذي لا يقبل بين مواطنيه ملاحظة أو وقيين.

أن هذه الدولة إنما تستمد سلطتها من الله مباشرة ومعنى ذلك أنها لن تكون دولة علمانية خالصة بل ستكون دينية بما تجمع بين الطابع العلماني والطابع الديني ومعنى هذا أنها سيكون من مهامها الأصلية ما يتصل بالحياة الدينية أي أنها ستعمل من أجل تحقيق السعادة على الأرض وتحقيق السعادة في الآخرة بالنسبة للمواطنين.

وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نتحدد العلاقة بين الدولة والكنيسة في رأيه فالكنيسة تشرف على الدولة من أجل توجيهها إلى الحياة الآخرة والدولة، تساعد الكنيسة على تحقيق أغراضها وظاهر

¹ ازريقي مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك، نفس المرجع السابق، ص 30-31.

من هذا بالطبع أن النصيب الأكبر في الهيمنة هو لصالح الكنيسة ومع ذلك فلم يشأ أوغسطين أن يفصل بين الاثنين وجعلهما مرتبطين تمام الارتباط فهذا الارتباط يضمن تحقيق السلام في الأرض، إن التعاون الوثيق بينهما أمر مرغوب فيه وضروري، بحيث لا يمكن تصور أي منهما محصوراً في ميدانه الخاص ومعزولاً عن الآخر وجاهلاً به إن مصلحة الدولة في نظر أوغسطين تتطلب هذا التعاون، كما تتطلبه كذلك مصلحة الكنيسة¹.

المطلب الثالث: الفكر السياسي عند المسلمين

الفارابي: أجمع مؤرخو العرب على أن الفارابي كان أكبر فلاسفة المسلمين على الإطلاق، وأنه صاحب الفصل الأول على الفلسفة الإسلامية والفارابي، هو محمد بن محمد بن أوزنغ وكنيته "أبي نصر" ولقبه "الفارابي" ولد بغاراب عاش بين (870 - 950 م) من أهم الفلاسفة من أصل فارسي²، كان الفارابي، أول من عنى من فلاسفة المسلمين بإصلاح نظام الحكم في كتابة آراء أهل المدينة الفاضلة وإن كانت آراءه قد تأثرت في هذا الصدد إلى حد بعيد بجمهورية أفلاطون فجاءت في إطار مثالي حيث وضع صورة مثالية لدولة خيالية تتحقق فيها المثاليات العليا.

وإذا كان المجتمع الفاضل هو المحور الذي قامت على أساسه نظرية الفارابي السياسية فإن هذا المجتمع يقوم على دعامتين رئيسيتين: المدينة الفاضلة³، يتناول فيها موضوع الدولة والحكم من خلال تصوره للمدينة الفاضلة الفارابي كمفكر وفيلسوف إسلامي، أفكاره انعكاس وضعه وظروف عمره وتجربة الدولة الإسلامية خاصة في مرحلة ضعف الخلافة⁴.

- اشترط الفارابي توفر عدة خصال في (الحاكم):

¹ أرزقي مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك، ص ص 33-34.

² رجاء أحمد علي، الفلسفة الإسلامية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2018، ص ص 29-30.

³ أرزقي مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك، ص ص 36 إلى 38.

⁴ محمد عبد العزيز، الفلسفة الإسلامية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص ص 29-30.

- أن يكون تام الأعضاء.
 - أن يكون جيد الفهم والتصور لكل ما يقال عنه.
 - أن يكون الحفظ لما يفهمه وما يراه وما يسمعه ويدركه.
 - أن يكون ذو فطنة (ذكي).
 - حسن العبارة يؤاتيه لسانه.
 - أن يكون محبا للعلم¹.
- المدينة الفاضلة اذ يجتمع في رئيسها الحاكمة والسلطة².

¹ محمد عبد العزيز، الفلسفة الإسلامية، نفس المرجع السابق، ص 142.

² علي أومايل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص 185.

الفصل الثاني

نظام الحكم عند جون لوك.

تمهيد

- ◀ المبحث الأول : جون لوك والعقد الاجتماعي
- ◀ المطلب الأول: الحالة الطبيعية
- ◀ المطلب الثاني: نظرية العقد الاجتماعي عند جون لوك
- ◀ المطلب الثالث: دوافع تبني العقد الاجتماعي
- ◀ المبحث الثاني : الدولة من منظور جون لوك
- ◀ المطلب الأول : الدولة عند جون لوك
- ◀ المطلب الثاني : الملكية
- ◀ المطلب الثالث : فصل السلطات وحل الحكومة

تمهيد:

يعتبر نظام الحكم على أنه مجموعة من المؤسسات السياسية التي تكون الحكومة وتنظم عملها ومن المعايير التي تحدد كيفية عمل السياسة في دولة ما وهو نظام سياسي إجتماعي، وتكون هذه الأسس رسمية، وقد ظهرت نظرية العقد الاجتماعي في سياق تاريخي تميز بظهور فكر فلسفي جديد إنقلب على المعرفة والفلسفة الرسمية التي فرضتها الكنيسة وأدواتها السياسية على العقول وهي سابقة حظيرة بالنسبة إلى أوروبا القرون الوسطى وبدأت العقول لاسيما عند النخبة من التحرر وتؤسس وتتنظر لحياة فكرية واجتماعية وسياسية جديدة.

المبحث الأول: جون لوك والعقد الاجتماعي.

المطلب الأول: الحالة الطبيعية (القانون الطبيعي)

بدأ لوك بالبحث فيما سماه بحالة الطبيعة السابقة على كل حكومة أو سلطة زمنية لكي يبين منشأ السلطة السياسية في المجتمع الانساني، بالإضافة الى تبين كيفية انتقال الانسان من حالة الطبيعة الى الحياة المنظمة سياسياً¹. كما ذهب لوك قائلاً "أن الناس يولدون أحراراً متساويين بحكمهم القانون الطبيعي الذي يتمثل فيه صوت العقل الالهي الذي يظهر في الضمير الانساني الذي ينتج عنه الحفاظ على الذات وعلى الآخرين وهو بذلك يضمن بقاء الانسان وسيادة السلام بين الناس"².

وبالتالي حالة الطبيعة هذه ليست كما وصفها هوبز حالة الفوضى التي لا ينظمها أي قانون، بل هي حالة "صالحة" يتمتع فيها الأفراد بحريتهم وبالمساواة وينظمها قانون أسمى من كل القوانين المدنية والسياسية ألا وهو "قانون الطبيعة"³.

ومن هنا يمكن أن نلخص قانون الطبيعة حسب لوك على آية قانون يحمي الانسان ويتمتع فيه كل الناس بالمساواة والعدل بينهم وهذا راجع الى مرتكزاته المنطلقة من القانون الالهي لأن الناس جميعاً من صنع القادر وبالتالي لا يسمح لأي فرد من أفرادهم أن يضر الآخر في حياته أو ممتلكاته وحرية لأنهم تحت رعاية حاكم واحد فقط فقانون الطبيعة هنا يعمل على الحفاظ على السلم والأمن البشري.

فلقد فسر مفهوم لوك حالة الطبيعة بعدة طرق، ففي الوهلة الأولى يبدو الأمر بسيطاً جداً حيث كتب لوك الحاجة بمعنى الافتقار الى حاكم مشترك وسلطة يضع جميع البشر في حالة الطبيعة

¹ أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون الى ماركس، دار المعارف، ط5، القاهرة، مصر، 1995، ص66.

² المرجع نفسه، ص66.

³ المرجع نفسه، ص67.

وأيضاً: "عندما يعيش البشر معا وفقا للعقل بلا حاكم مشترك على الأرض وسلطة تحكم فيما بينهما فعلى النحو الصحيح تلك هي حالة الطبيعة"¹.

يمكن القول هنا أن العديد من المفسرين لمفهوم لوك الحالة الطبيعية أنها تحدث لعدم وجود سلطة سياسية قادرة على التحكم في النزاعات وعندما يعيش الناس وفقا لقانون الطبيعي ومن هذا المنطلق نجد اختلاف بين الحالة الطبيعية داخل المجتمع السياسي الذي يتوفر فيه حكومة شرعية وهن حالة الحرب عندما يفشل الناس في الالتزام بقانون العقل.

كذلك نجد *جون ديوي John Dewey (1859م) يفسر العلاقة بين حالة الطبيعة

عند لوك ومعتقداته المسيحية، فادعى أن حالة الطبيعة عند لوك ليست تطبيقاً للأنثروبولوجيا التاريخية بقدر ما هي انعكاس لاهوتي عن حالة الإنسان وفقاً لتفسير John Dewey أن طرح لوك عن حالة الطبيعة هو تعبير عن موقفه اللاهوتي أي أن الإنسان وجد في عالم خلقه الرب لأهداف خاصة ولكن الحكومات أوجدها البشر من أجل تعزيز تلك الأهداف².

ومن هنا نجد أن نظرية لوك عن حالة الطبيعة متعلقة بفطريته عن القانون الطبيعي، حيث أن هذا القانون هو من يحدد حقوق البشر ووضعهم كأشخاص أحرار ومشاويين.

وهكذا يحدث في حالة الطبيعة أن يكون لفرد ما سلطة على الآخرين لكن لا تعتبر سلطة تعسفية التي يمارسوها على المجرم بل يمكن اعتبارها سلطة بأن يعاقبه بحسب العقل والاعتزان والضمير بعقاب يتناسب مع اعتدائه لأن المعتدي على قانون الطبيعة إنما قد أعلن على إتباع

¹ سارة المديفر، فلسفة لوك السياسة، موسوعة ستانفورد للفلسفة 03/08/2021، ص ص 9-10.

* جون ديوي: هو فيلسوف وعالم نفس أمريكي وزعيم من زعماء الفلسفة البرغماتية، يعتبر من أوائل المؤسسين لها، ولد في 20/أكتوبر 1653م، وتوفي عام 1952م، ترتبط اسمه بفلسفة التربية لأنه خاض في تحديد الغرض من التعليم، فهو الأب الروحي، للتربية التقدمية ... أو التدريجية.

² سارة المديفر، فلسفة لوك السياسة، نفس المرجع السابق، ص 11.

قاعدة أو قانون آخر غير تلك التي نص عليها القانون المشترك ألا وهي الحدود التي وضعها الله لأفعال الناس لأمنهم المتبادل ومن ثم يصبح المعتدي خطرا على الجنس البشري¹. يسود في المرحلة الطبيعية التي تغيب السلطة جو تميزه الحقوق والحرية والمساواة، كان الأفراد يتمتعون بحرية التصرف ولا يخضعون لإرادة غيرهم، كما لا يوجد هناك تفاوت إلا من ناحية القدرات الطبيعية لكل فرد، والأهم هو أن العلاقات التي تربط بين الأفراد هي علاقات المحبة المتبادلة وجعلوا من محبة الآخر كما يحبون لأنفسهم كواجب يجب الالتزام به وهذا ما نتج عنه مبدأ المساواة².

كما ذكر لوك أنه ما يميز هذه المرحلة هو نوع من الاخلاق الفطرية التي تتمثل في الاحترام المتبادل بين الناس وعدم المساس بحياة ومصالح الغير يقول في هذا الشأن: "ولطبيعة قوانينها التي يخضع لها كل انسان، فالجميع متساويين ومستقامين، وليس لأحد أن يسيء الى أخيه في حياته أو صحته أو حريته أو ممتلكاته، فالناس يعدلوا من أجله فهو مالكمم الذي وجههم كيفما شاء ورائهم فيما يفعلون ابتغاء مرضاته ومن أجل هذه يجتمعون ويتقاسمون ما تمنحه لهم الطبيعة"³.

يقصد لوك بقوله هنا أن الطبيعة قوانين ثابتة لا يمكن تجاوزها ولا المساس بها ويخضع لها كل فرد فهي تحفظ لهم جميع حقوقهم كحق في المساواة وحق في الحرية والحق في الملكية وبالتالي يصبح جميع الناس سواسية ولا يعتدي أي أحد منهم على غيره لأن حاكمها واحد ألا هو القانون الالهي الذي يوجههم كيفما يشاء ويخضعون لكل ما ينص عليه هذا القانون لأن في نظر لوك أن هذا القانون هو قانون الأصح لتسيير شؤون الانسان والدولة ومن أجل الحفاظ

¹ أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون الى ماركس، نفس المرجع السابق، ص 68.

² أرزقي مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك، ص 70-71.

³ جون لوك، في الحكم المدني، تر: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، (ب.ط)، 1959، ص 13.

عليه وجب على الجميع أن يجتمعون ويتقاسمون ما تمنحهم لهم الطبيعة من حقوق وواجبات وبهذا يصبح جميع الناس بنفس الرتبة، ولا يوجد تفاوت بين شخص وآخر. إنفق كذلك جون لوك مع فلاسفة العقد الاجتماعي على أن البناء التعاقدى للمجتمع المدني يفرض وجود "الوضع الطبيعي" كحالة مبدئية لفهم ضرورة الاجتماع المدني والسياسي، بل إنه يرى أن هذا الأخير ما هو إلا تطور للحالة الطبيعية¹.

المطلب الثاني: نظرية العقد الاجتماعي عند جون لوك

ليس من السهولة اعطاء معنى جامع ومانع لمفهوم نظري، كالعقد الاجتماعي، فيصعب واقعا تحديد دقيق له لأن كل مصطلح أو مفهوم ما لا بد أن نرصد بداية ظروف نشأته ودلالة استخدامه بغية، أن يساعد في تقريب المعنى للمفهوم ويقود ذلك الى الموضوعية فالمتتبع لتاريخ الفلسفة السياسية فإنه يلاحظ دون عناء تردد فكرة العقد أي العقد الاجتماعي

(Le contrat Social) والتي تشير الى المعنى التالي:

العقد يلتزم بمقتضاه شخص أو عدة أشخاص تجاه شخص أو عدة أشخاص بتقديم شيء ما. في الفلسفة بنحو أخص، يقال عقد على ما يكون ثنائي الطرف أو متعدد الطرف أي ما يتضمن التزامات أو تعهدات متبادلة².

أي أن العقد يعني به اتفاق مبرم بين شخصين أو عدة أشخاص للقيام بهدف معين، ضمن قوانين أو التزامات متفق عليها ومعروفة لدى الطرفين وتشير أيضا الى معنى ضرورة اتفاق أو ميثاق لقيام المجتمع السياسي.

¹ حسان حمون، الدولة والمجتمع المدني في الفكر السياسي الحديث (توماس هوبز، جون لوك، امانويل كاخط، فويدريك هيفل، مجلة القيس لدراسات النفسية والاجتماعية، ط4، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب، 2022، ص94.

² اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، ط2، بيروت، منشورات عويدات، 2001، ص224.

فمن الناحية الاجتماعية لهذا المفهوم نجد أن العقد هو النموذج المثالي لكل المعاملات أو العلاقات الاجتماعية،¹ يتضح من خلال العقد الذي تم الاتفاق عليه من طرف الاعضاء أكثر تنظيماً، وبذلك فإن العقد الاجتماعي هو جملة الاتفاقات الأساسية المتضمنة في الحياة الاجتماعية، وبمقتضاها يضع كل فرد شخصه وقواه تحت إرادة المجتمع، فبمقتضى العقد يتم بناء المبادئ الأساسية له المتفق عليها، والتي يتم من خلالها إخضاع الفرد لها، كما أنه يعني اتفاق بين أفرادها وقوة حاكمة حيث يتنازل الفرد إرادياً عن بعض الحريات الشخصية مقابل منفعة تتمثل في مجتمع حسن التنظيم.²

يعتبر جون لوك أن العقد الاجتماعي هو اتفاقية تم تشكيلها بين الأفراد في المجتمع لحماية حقوقهم وحرياتهم الأساسية وهي وثيقة أو اتفاق بين الحكومة والشعب وهكذا أطلق عليها اسم الاتفاق الاجتماعي أو العقد الاجتماعي.

يرى جون أن الحكومة المدنية تنشأ نتيجة عقد والمجتمع السياسي ينشئ ويقوم بموافقة الأفراد واجتماع مع بعضهم بعض وبناء مجتمع واحد وسلطة الحكومة القائمة على العقد فبعد المصاعب التي تظهر على المجتمع في حالة الفطرة الأولى تظهر الحاجة الى حماية الحرية وتنظيمها وبصفة خاصة حماية ملكية خاصة للأفراد وضمان حريتهم الشخصية وبناء العدل بينهم وحفاظ على حقوق الغير وتحقيق العدل بين الناس وتسليط عقوبات على كل من يعتدي على حقوق غيره.

ومن هنا قد إنظم الأفراد الى بعضهم وقاموا بالتنازل عن بعض حقوقهم كالرد والاقتصاص وكان هذا بإرادتهم وضائهم التام وأصبحت الدولة هي التي تحل محل الأفراد وتقوم بهذه

¹ أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، نفس المرجع السابق، ص 244.

² ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، القاهرة، ص 119.

الوظائف، ومن هنا يكون طرفا الثقافة هما الحكومة والشعب وهكذا هي أول صورة للاتفاق الاجتماعي في المجتمعات السياسية والمدنية وأي طرف يخالف هذا العقد يصبح باطلا وملغ¹. تتعلق فكرة لوك حول العقد الاجتماعي بفكرة أساسية هي فكرة الملكية حيث يعتبر حماية وحفظ ممتلكات الناس تعد لجون أولوية المجتمع السياسي التعاقدية².

أما الجذور الأولى التي اعتمد عليها لوك عند قيام العقد الاجتماعي كانت كما يلي:

- أهمية قيام العقد على الحرية التامة للفرد.

- لا هناك اجبار على تأدية الاشخاص ما لا يحبون.

- يتخلى فرد عن بعض حقوقه³.

قدم لوك بنظريته في العقد الاجتماعي الكلمة العليا للشعب مما يظهر عنه أمور ثلاثة وهي:

أ- إن حق الملكية يمثل القاعدة الأولى في المجتمع ومصدر للسلطة الشرعية والتنفيذية مما يؤدي الى اخضاع الاقلية للإدارة العامة.

حق الملكية يعتبر جزءا أساسيا من النظام القانوني في العديد من المجتمعات حيث يمثل مصدرا للسلطة التنفيذية والتشريعية ومع ذلك يتطلب ذلك أيضا ضمان حماية حقوق الاقليات واحترام ارادتها، وذلك من خلال ضمان وجود نظام قانوني الجفل المساواة والعدالة لجميع أفراد المجتمع.

ب- تقييد سلطة الحاكم بقيدتين الا وهما ضرورة تنفيذ نصوص القانون مع مراعاة الحقوق الطبيعية والالتزام بالعقد الاجتماعي.

¹ بشار مالك سليمان، فلسفة جون لوك ابعادها التربوية دراسة وصفية تحليلية، جامعة دمشق كلية التربية، رسالة ماجستير في أصول التربية، 2015، ص ص 60-61.

² حسان حمون، الدولة والمجتمع المدني، في الفكر السياسي الحديث، نفس المرجع السابق، ص 95.

³ بشار مالك سليمان، فلسفة جون لوك ابعادها التربوية دراسة وصفية تحليلية، نفس المرجع السابق، ص 61.

يعزز مبادئ العدالة والشرعية في النظام الحاكم، ويضمن حماية حقوق المواطنين وتحقيق التوازن بين السلطات.

ج- أي اخلال للحاكم (ملك وغيره) بالمسؤولية وتعديه لحدود يجعله عرضة للعزل والثورة عليه واستبداله.

الاخلال بالمسؤولية وتجاوز الحدود من قبل الحاكم، سواء كان ملكا أو غير يمكن أن يؤدي الى احتمال عزله أو اندلاع ثورة ضده، هما يكمن أن يؤدي في النهاية الى استبداله بشخص آخر.

يؤكد جون لوك على ضرورة فصل الدولة عن الدين والفصل بين السلطات مما ينجم أن تقوم الحكومة بتقسيم السلطات الى السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة الفيدرالية¹.

مما هذا يمنع التدخل الديني في القرارات الحكومية ويحافظ على توازن السلطات هذا يعزز مفهوم الحكم الديموقراطي ويحمي حقوق الافراد والحريات الشخصية.

المطلب الثالث: دوافع تبني العقد الاجتماعي.

بعد فحص نظرية لوك السياسية يتجلى بوضوح أن هناك ثلاثة عوامل أساسية دفعت بالناس الى التعاقد فيما بينهم وتأسيس سلطة عامة تتولى شؤونهم في إطار الحياة الجماعية، فقد عمل لوك على تطوير فكرة الحقوق الطبيعية، حيث يرى أن للفرد حقوقا تتبع من الطبيعة وليست منا من الحكومة هذه الحقوق تشمل الحرية المساواة، وحق الملكية ويعتبر لوك أن الحكومة ملزمة بحماية هذه الحقوق واذا فشلت في ذلك، فإن الافراد لديهم الحق في الاقتصاص من المجرمين الذين ينتهكون هذه الحقوق، فالحكومة والهيئات القضائية تلعب دورا حيويا في

¹ إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، نفس المرجع السابق، ص204.

فرض القانون وضمن تنفيذه بشكل عادل ومنصف دور الحكومة في فصل الخصومات وتنظيم الشؤون القانونية يسهم في الحفاظ على النظام والاستقرار في المجتمع¹.

الملكية هي حق أساسي وغير قابل للتنازل، فعندما يبذل الفرد جهداً في استغلال موارد الطبيعة يصبح له الحق المشروع في هذه الممتلكات ومع ذلك يجب أن يتم ممارسة هذا الحق بشكل مسؤول وبمراعاة حقوق الآخرين والبيئة².

وهكذا تحولت حالة الطبيعة الفطرية الآمنة من حالة سلام وآمن وجب إلى حالة حرب وخوف وكراهية واشتداد الصراع على الممتلكات الخاصة وتحول حق الملكية الطبيعي الذي وهبته الفطرة الأولى للإنسان والذي بمقتضاه آمن الناس الشرور باحترام بعضهم لممتلكات البعض إلى مجتمع حرب ونزال وصراع من أجل الحصول على الممتلكات، ولكي يتمكن البشر من حل النزاعات والخلافات والاساءات، أي تلك المساوي التي لم تلم أصلاً بحياتهم في حالة الفطرة ينبغي اذن العمل على ايجاد صيغة للاتفاق وتنصيب سلطة عامة للخضوع لها، حتى يتحقق الأمن والسلام والطمأنينة للجميع³.

فالالتزام بحقوق الإنسان والاعتراف بها يعزز الاستقرار ويقلل من احتمالات نشوب الصراعات والحروب، حيث يمثل الاتفاق على حماية هذه الحقوق أساساً لبناء السلام والاستقرار بين الأفراد والمجتمعات، ولذلك يمكن تفسير عوامل تعاقد البشر وخروجهم من الحالة الطبيعية إلى المجتمع المدني بمفهوم الحقوق الطبيعية التي يتمتعون بها وبالحاجة لتنظيم العلاقات الاجتماعية من خلال العقد الاجتماعي، وللملكية في فلسفة لوك السياسية دور حاسم في نشأة الدولة وتأسيس الحكومة المدنية⁴.

¹ جون لوك، في الحكم المدني، نفس المصدر السابق، ص144.

² رواية عبد المنعم عباس، جون لوك امام فلسفة التجريبية، دار النهضة العربية، بيروت، 1996، ص108.

³ جون لوك، في الحكم المدني، نفس المصدر السابق، ص195.

⁴ أرزقي مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك، نفس المرجع السابق، ص74.

إذا كان العقد الاجتماعي يشكل نقطة تحول المجتمع من الحالة الطبيعية الى الشكل المدني وإذا كان يعني مثلما ذكرنا سابقا اتفاق الافراد بإرادتهم التعاقد والاتحاد في مجتمع يكفل لهم الحياة الأمنة فإن هذا يستلزم قيام سلطة سياسية توكل لها هذه المهمة وفقا للقوانين التي يتفق عليها المجتمع¹.

هذا مقترح قانوني يشير الى أهمية احترام السلطة والقانون في المجتمع، حيث يجب أن تكون الحكومة مشروعة ومقبولة من بل الشعب وفقا للقانون والدستور، إن الحاكم العادل هو الذي يحتكم القانون ويدير شؤون الشعب ويحمي حقوقه وممتلكاته ولا يستعمل السلطة لأغراضه الشخصية وتسخيرها له جورا في هذه الحالة يتحول الحاكم الى طاغية ويعمل خارج اطار الميثاق الذي عقده مع الشعب وحينئذ يكون من حق الناس أن يثوروا ضده ويقاومونه، يضيف لوك قائلا: "يبتدى الطغيان حيث تنتهي سلطة القانون، أي كلما هتكت حرمة القانون وانزل الضرر بالآخرين، وكل من يتجاوز السلطة التي قلده إياه القانون من أولي الأمر، ويستخدم القوة التي انتهت إليه، من أجل فرض احكام لم يجوزها القانون على ابناء الشعب، لم يعد حاكما بالمنحنى الأصيل ولما كان يتصرفون من دون تفويض شرعي جاز الخروج عليه ومقاومته كما يقوم كل أمرئ اخر سيطر على حق الاخرين بالقوة"².

من خلال كلام لوك يفهم أن العقد الاجتماعي ليس بصك تم الامضاء عليه علي بياض أو بطاقة يمكن للحاكم سواء كان ملكا أو برلمانا أن يستعملها متى ومثلما يشاء حسب أهوائه، إنه مقيد بإرادة الاغلبية من الشعب وعليه أن ينفذ قراراته وتوصياته وأن لا يتجاوز حدود القانون وإلا أصبح طاغية يجوز التمرد عليه وعزله من الحكم، إذن يقوم هذا الاتفاق أساسا على الحرية وقوة الأكثرية مادام أن الأغلبية هي التي تشكل الطاقة المحركة والا يستحيل على الهيئة

¹ جون لوك، في الحكم المدني، نفس المصدر السابق، ص195.

² المصدر نفسه، ص من 262 إلى 265.

المنصبية أن تعمل وتنشط وخاصة أن تستمر كمؤسسة واحدة كما أرادها الأفراد الذين انخرطوا فيها أن تكون وفي هيئة كهذه يكون قرار الاغلبية هو السائد وعلى الاقلية أن تخضع له وتتبناه، يلزم حينئذ الجميع مادام يعبر عن سلطة المجموع¹.

ومن الواضح يبدوا أن العقد الاجتماعي أو السلطة المنصية لا يمكن أن يكتب لها النجاح والاستمرار إلا حينما يحترم الناس جميعا قرار الأغلبية عندما لا يلتزم كل الأفراد بقرار الاغلبية وكل يتصرف بطريقته، يكون قد انسحب من العقد ويتصرف كما أنه مازال يعيش في الحالة الطبيعية أين كان هو يملك السلطة كفرد، ومنه الحالة تعني بشكل أو بآخر فسخ العقد والعودة الى حالة الفطرة².

نستخلص ما سبق ذكره من نظرية العقد الاجتماعي عند جون لوك أن يبرهن أن السلطة من صناعة البشر وظهرت في ظروف تاريخية معينة، ولا تمارس إلا بإرادة أفراد المجتمع، إذا كان الحاكم حسب أصحاب نظرية التفويض الالهي، يستمد شرعيته من الله الذي فوضه كي يكون ممثلا له في الأرض، فإن لوك يجعل من السيادة الشعبية المبدأ الأساسي التي تقوم عليه السلطة باسم الارادة الشعب الذي انتخبه والا يصبح أغتصبا، استنادا الى ما سبق ذكره يكون لوك قد أعطى الدور الأكبر للشعب ويرفع من قيمته وإنه يرفض السيادة المطلقة للحاكم، بينما يلح على ضرورة بقائها في يد الشعب لا يفوضها إلا لمن يختاره بحرية ويلتزم بالعقد والعهد الذي يدخل فيه كطرف مثل غيره من الناس.

¹ جون لوك، في في الحكم المدني، نفس المصدر السابق، ص196.

² المصدر نفسه، ص197.

المبحث الثاني: الدولة من منظور جون لوك.

المطلب الأول: الدولة عند جون لوك.

إن الدولة مشتقة من الفعل دال يدول أي بمعنى ينتقل من حال الى حال، والدولة الانتقال من حال الشدة الى الرخاء، ودالت الأيام بمعنى دارت تحولت من قوم الى قوم آخرين. وهي مجموعة من الافراد يقيمون بصيغة دائمة في اقليم معين وتسيطر عليه هيئة حاكمة ذات سيادة، وعلى هذا الأساس لا بد من توافر مجموعة عناصر حتى تكتمل الدولة وهي:

أ- مجموعة من الأفراد أي الشعب.

ب- إقليم تقييم عليه منه المجموعة بصيغة دائمة.

ج- هيئة حاكمة ذات سيادة تتولى شؤون المجموعة تسيطر على الاقليم¹.

فإن افظ دولة قبل أن يكتسب مفهومه السياسي المحدد في العربية بمعنى السلطة والقوة المتغلبة الحاكمة، كان يعني "الدور" و"الدورة" مثل دور الانسان في الشراء والجاه ثم انقلاب "دورة" الدهر عليه أو العكس بمعنى تحوله الى دور الشراء والجاه بعد أن كان خاملاً أو معدماً، ومنه أيضاً "دورة" الايام والفصول الى أن توسع معنى الكلمة في تطوره "السيمانثكي" المتدرج فاتحنى "دورة" تقلب عجلة الدهر والاقدار بحظوظ الأمم ومصائرهما "تداولاً" بين عز ودل².

ولما كان "اداول" الخضوع المتعاقب للسلطات الحاكم من أقدار الامم اقتراب المعنى ودخل في إطار المفهوم السياسي الى أن ارتبط به واقتصر عليه في الاستعمال اللغوي العام.

عرفت موسوعة "لاروس" Larousse الفرنسية الدولة بأنها مجموعة من الافراد الذين

يعيشون على أرض محددة ويخضعون لسلطة معينة.

¹ سامي شهيد مشكور، أصل الدولة عند أصحاب نظرية الاجتماعية هوبز ولوك وجان جاك روسو وأثرها في الفكر المعاصر، جامعة الكوفة، كلية الأدب، العراق، ص02.

² أرزقي مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك، نفس المرجع السابق، ص16.

أما الدولة في الاصطلاح السياسي فهو تعني مجموع كبير من الافراد يقطن بصفة دائمة، إقليما معيناً يتمتع بنظام حكومي، وبالشخصية المعفوية، واستقلال سياسي¹.

وقد عني الفلاسف اليونان بالدولة المثلى إن بي أفلاطون في كتابه الجمهورية بدراسة النظام الاجتماعي بتعريف معنى العدالة وتحليله، وتظهر العدالة في الدولة في التناسب الهندسي بين الطبقات المختلفة عندما يصطاح كل قسم من المجتمع بمهمته ويتعاون في توحيد النظام العام. وقد ساءت فكرة الدولة المعتمدة على القوة في كل النظريات السفطائية أما العدالة وإرادة القوة فيمثلان قطبين متضادين في فلسفة أفلاطون الاخلاقية والسياسية².

أما مفهوم الدولة العربية الاسلامية فظهر أن كلمة "الأمر" هو التعبير المستعمل في صدر الاسلام عن الحكم والسلطة وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم)³.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف بأنه ولي المؤمنين وولي المسلمين للدلالة على رئاسته للمسلمين قبل قيام الدولة، والدولة التي أقامها في المدينة هي دولة الشرع لا دولة الشخص، وإنه لم يكن في عهد الرسول حكومة بالمعنى الحديث ذلك أن الرسول كان ينفذ حكم الناس شريعة إلهية ويطبق في المجتمع مبادئ دينية ترجع في حقيقتها الى الوحي الالهي⁴.

وبعد وفاة النبي محمد كان النموذج الخلافي للحكم هو النموذج الاقرب للنموذج الرسولي، وتعني الخلافة الشخص الذي يتولى إدارة شؤون المسلمين ورئاسة، دولتهم بعد وفاة الرسول،

¹ أزريقي مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك، نفس المرجع السابق، ص 16-17.

² سامي شهيد مشكور، أصل الدولة عند أصحاب نظرية الاجتماعي هوبز ولوك وجان جاك روسو أثرها في الفكر المعاصر نفس المرجع السابق، ص 03.

³ سورة الشورى، الآية: 38.

⁴ سامي شهيد مشكور، أصل الدولة عند أصحاب نظرية الاجتماعي هوبز ولوك وجان جاك روسو وأثرها في الفكر المعاصر، نفس المرجع السابق، ص 03-04.

وسمي خليفة لكونه في خلق الرسول بهذه المهمة، أما الدولة عن الفلاسفة المسلمين فكان الفارابي أكثرهم عناية بها متأثراً بفلسفة أفلاطون السياسية متابعاً البحث عن الدولة المثلى أو الفضلى، اعتقد الفارابي ضرورة قيام رئاسة فاضلة تعتمد الطرق البرهانية لتعيد الوصل بين الدين والدنيا، ولتقرب الانسان الى ربط وتجعل منه خليفة في الارض ويقسم الفارابي الدولة على: مدن فاضلة وأخرى جاهلة أو فاسقة أو متبدلة أو ضالة¹.

والدولة الوضعية في نظر غالبية العلماء هي نتيجة تفاعل عوامل عديدة أسهمت على مر الزمان، وبعد تطور طويل في أحداث الترابط بين أفراد الجماعة وفي تحقيق ميولهم الغريزية الى الاجتماع والتعايش مع، إن هذا التفاعل بين تلك العوامل المختلفة قد أدى في النهاية الى ظهور فئة من أفراد الجماعة استطاعت أن تفرض ارادتها على بقية الافراد وتخضعهم لمشيئتها. وقد تطور أصل الدولة في مطلع العصور الحديثة في (القرن السابع عشر من الثامن عشر) وظهر كثير من الفلاسفة قدموا نظريات سياسية كان لها أثر بارز في النظم السياسية التي ساد تطبيقها في أوروبا في ذلك الحين، وكان بعض الفلاسفة الذين ظهوروا في هذه الفترة من الداعين للحكم المطلق المؤيدين له في فلسفتهم وفريق آخر يناصر الحرية ويعتقد المبادئ الديمقراطية وينادي بها وسنتناول أصل الدولة عنه جون لوك².

يرى لوك أن الدولة مؤسسة أنشأها المواطنين "فهي تشكل تنظم سياسي المجتمع منظم سياسيا لا يخضع لحاكم استبدادي مطلق، فهي كما قلنا مؤسسة نشأة على حكم الأغلبية وعن طريق أنظمة معينة فصل السلطات"³.

¹ سامي شهيد مشكور، أصل الدولة عند أصحاب نظرية الاجتماعي، نفس المرجع السابق، ص 05.

² المرجع نفسه، ص ص 06-07.

³ غفار سيكريك وولن فيلمي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة الى القرن العشرين، تر: حيدر حاج اسماعيل المنظمة العربية لترجمة والتوزيع، ط1، بيروت، 2012، ص 453.

تصور لوك أن الفرد هو العنصر الأساسي واعتبر الدولة نتاج عقد اجتماعي بين الافراد بحيث تم زوال الحالة الطبيعية وبهذا المعنى لا تفيد عقيدة الحالة الطبيعية كعقيدة في نشوء الدولة، وكيف نشأت الدولة فعليا، إنما كعقيدة تشرح ماهي الدولة وبذلك نشر عن الدولة أيضا، غير أن لهذه التصورات طابعا ألطف في فكر لوك: فهي بخلافها عند هوبز، لا تشمل فكرة صراع كل واحد مع الآخر، أي المبدأ الصارم لحفظ الذات والحكم الاستبدادي، فهناك مواطنون أحرار يعيشون انطلاقا من مصلحة ذاتية متتورة، في مجتمع يحكمه القانون والحكومة تمثيله أو يكون فيه للفرد حقوق معينة مضمونة الحق في الملكية خاصة.¹

ويمكن القول إن لوك ميز بين المجتمع الذي يعمل بشكل عفوي بطريقة منظمة والذي يمكن أن يوجد في حالة الطبيعة والدولة التي تمثل تنظيما سياسيا والتي نتجت عن عقد اجتماعي، فالمجتمع المنظم سياسيا ليس بحكم استبدادي مطلق وهو دولة خاضعة يحكم الاكثرية والانظمة معينة أي: أي لكل فرد حقوق لا يمكن انتهاكها ويجب ألا يمسها حاكم فالحاكم دستوري وتعظيم حرية الفرد ووجود حكم دستوري مؤسس على حقوق الفرد هما وجهان لعملة واحدة عند لوك.² وهدف الدولة عند لوك تأمين السلم وهدفها فوق مل شيء وقبل كل شيء هو حماية الملكية الفردية، المفيد أن مهمة الدولة بشكل رئيسي هب مهمة اخلاقية اي تأمين حياة جيدة والسماح للإنسان بتحقيق الذاتي الاخلاقي الفردي قبل كل شيء وواجبها السير وفق خطة تجارية ذات حماية تجاه الدول الاخرى واقامة الاقتصاد على الرأسمال الخاص.³

أنه ليس من واجب الدولة التدخل في شؤون المواطن وحياته وشؤونه الاجتماعي، كما يجب أن تعمل دائما على تحسن الاحوال المعيشية للفقراء وتنظيم المداخل الشخصية وأول شيء

¹ غفار سيترك ونلنى فيلمي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة الى القرن العشرين، نفس المرجع السابق، ص 468.

² المرجع نفسه، ص 468.

³ جون لوك، رسالة في التسامح، تر: منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1999، ص ص 23-24.

تحدث عنه جون لوك في كتابه الموسم الدولة هو فكرة المساواة والتمييز بين السلطة السياسية وبين السلطات الاخرى كوظيفة من وظائف السلطة السياسية داخل الدولة¹.

فوجود الدولة عند لوك يرجع الى الارادة المشتركة بين الحاكم والمواطنين وعلى السلطة الحاكمة حماية النظام السياسي من الدخول أي أمن المواطنين ومن الخارج أي ما ينحصر في المبادلات التجارية وعلاقتها مع الدول الأخرى.

ومن هنا يقف لوك ليؤكد حقوق الفرد وحرية التامة في مقابل الدولة وسلطانها ومن هنا فقد تغير مفهوم الدولة مع لوك عما كان عليه في التراث اليوناني، فبعد أن كان أفلاطون وأرسطو ينظران الى الدولة على أنها غاية في ذاتها وأنها كائن عفوي له حياته الخاصة وأهدافه العليا التي تسمو على كل أهداف أخرى للأفراد التي هي أجزاء منه، وبعد أن كان هذا التراث اليوناني، المستمد منها يجعل الدولة مصدر القيم العليا كلها ومبعث حياة الافراد والقوة الموجهة لهم تحولت عند لوك الى أداة توفر للأفراد النظام والاستقرار والسلام الذي يمكنهم من تحقيق أهدافهم الخاصة وأهم ما ينبغي للدولة أن تحافظ عليه حق الافراد في الملكية².

المطلب الثاني: الملكية عند جون لوك.

ترتبط فكرة جون لوك حول "العقد الاجتماعي" بفكرة أساسية هي فكرة الملكية حيث أن حماية الملكية والحفاظ على ممتلكات الناس تشكل بالنسبة لجون لوك أولى أولويات المجتمع السياسي التعاقدية، إن نشأة الدولة جاء بداعي صيانة الملكية وضمان تمتع كل فرد بممتلكاته وأغراضه، ففي الوضع الأول لم يكن الانسان الطبيعي يتمتع بالحقوق الطبيعية إلا بشكل عابر فضلا عن غياب ثلاثة شروط ضرورية لحماية الملكية من التعديات المحتملة من الاخرين:

¹ غفار سيكريك ونلنى فيلمي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة الى القرن العشرين، نفس المرجع السابق، ص 470-471.

² أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون الى ماركس، نفس المرجع السابق، ص 76.

قانون قائم محدد، قاضي له كفاءة وغير متحيز وقوة إكراهية لتنفيذ حكم القاضي، وعليه ونظرا لعدم وجود هذه الشروط فإن حفظ الممتلكات لم يكن مضمونا.¹

والملكية التي وجدت الدولة لحمايتها تتخذ عند لوك معنى واسعا فهي تشمل الحياة والحرية الارض ونظرا لكون المجتمع السياسي هو امتداد للحالة الطبيعية كما رأينا سابقا فإن هذا يترتب عليه أن الحقوق التي كان يتمتع بها الفرد في الحالة الاولى، وهي الحق في حفظ الذات وحفظ القوات الاخرى والحق في معاقبة مرتكبي الجرائم التي يمنعها القانون الطبيعي.² يقول جون لوك في مؤلفه "في الحكومة المدنية": "لكل واحد الحق الطبيعي في المحافظة على ملكيته أي حياته وحرية وأرضه ودفع عدوان الاخرين وأدهم أولا، والحكم في كل خرق لحقوقه الطبيعية وإنزال العقوبات التي يستحقها المجرم في اعتقاله حتى عقوبة الموت منها على الجرائم التي تستحق عنده مثل تلك العقوبة لفظاعتها ولكن يستحيل قيام مجتمع سياسي واستمراره ما لم يسند إليه وحده سلطة المحافظة على الملكية ومعاقبة كل من يسطو عليها".³

أي أنه لكل شخص عنده الحق في الحفاظ على املاكه أي حياته وحرية وأرضه والحكم على كل من خرق القانون الطبيعي للإنسان وحقوقه وإنزال أقصى العقوبات التي يستحقها الفاعل ومعاقبة كل من يتخطى القانون الملكية أي لوك يرى أن الانسان سيد نفسه وممتلكاته.

فالملكية إذا عند لوك هي كل متعلق بالإنسان وحياته الطبيعية وعلاقته بالمستثمرات الطبيعية على أنه لكل انسان ملكية خاصة في ثمرة عمله أو على الأقل ينبغي أن يكون له ذلك فيما قبل الصناعة فالإنتاج الحضاري كان بصفة رئيسية انتاج الحرفيين الذين كانوا يملكون أدواتهم ويبيعون كل ما يخص الانتاج الزراعي وهذا فيما يخص المدرسة التي ينتمي إليها جون

¹ حسان حمون، الدولة والمجتمع المدني في الفكر السياسي الحديث (توماس هوبن جون لوك، امانويل كانط)، نفس المرجع السابق، ص95.

² المرجع نفسه، ص96.

³ جون لوك، في الحكم المدني، نفس المصدر السابق، ص ص187-188.

لوك "ملكية الفلاح" فهو أفضل نظام ينص على أن للإنسان أن يملك من الارض بقدر ما يستطيع أن يفلح وأكثر من ذلك¹.

فقد رأى جون لوك أن الانسان سيد نفسه وممتلكاته في الدولة الطبيعية وحتى في الحكومة السياسية الى أنه انتقل المجتمع السياسي من أجل المحافظة على ممتلكاته التي ورثها من الطبيعة لأن غياب المراقبة الدقيقة التي تقوم بالأشراف على القانون في الدولة الطبيعية جعلتها غير متحقق من الناحية الامنية لذلك كان الخوف على ممتلكاته سببا من الاسباب التي جعلته يتخلى عن الحرية المطلقة، التي كان يتمتع بها في الطور الطبيعي ليطلب السلطة².

حتى توحد الناس هيئة اقتصادية موحدة وتحولهم تحت سلطة حكومية لغرض المحافظة على ممتلكاتهم التي كانت مفقودة في الدولة الطبيعية، فكانت الحاجة الى القانون الطبيعي الثابت المعروف وموافق عليه من قبل الجميع لأنه حاز على رضائهم وهذا القانون هو المعيار الذي يميز بين الحق والباطل³.

ليحكم بينهم بالعدل وينص على الحق ويرفض الباطل فيصبح عمل كل فرد مرهون بما قام به من جهد، فإذا كانت الارض والمخلوقات الدنيا ملكا عاما مشروعا لجميع الناس كان من حق كل شخص أن يمتلك ذلك الذي يستولى عليه من هذه الخيرات نتيجة، عمل بدني وهنا يبين لوك أن الملكية تكون في حدود الاستعمال فبقدر ما قام الانسان بجهد علي أو بدني بقدر ما يكسبه مقدار لك العمل فالملكية تتوقف هنا على حسب الجهد والعمل الشخصي لأن الملكية الخاصة تعتبر من أهم حقوق الانسان في الفطرة.

¹ برتراند راسل، تاريخ الفكر الغربي الحديث (الفلسفة الحديثة لكتاب الثالث) تر: محمد فتحي الشنطي، المصرية العامة للكتاب 2002، دط، ص212.

² جان توشار، تاريخ الافكار السياسية، تر: ناجي الدراسة، دار التكوين للتأليف والنشر، ط1، بيروت، 2010، ص298.

³ المرجع نفسه، ص299.

فالإنسان يمتلك جزءا مما تقدمه له الطبيعة ويضيف عليه جهده الخاص الى أنه يقوم بنقل ممتلكاته الى المجتمع السياسي خوفا من غزو الاخرين وحتى يحافظ عليها ولا تضيع منه¹.
المطلب الثالث: فصل السلطات وحل الحكومة عند لوك.

لقد كان جون لوك شديد التأثر بما يجري من أحداث في انجلترا خاصة تلك الصراعات والحروب التي كانت قائمة بين أنصار الملكية من جهة وأنصار البرلمان من جهة أخرى، حيث أن لوك كان مناصرا للبرلمان، فقد كان رأيه في تكوين العقد الاجتماعي وتحول المجتمع من الحالة الطبيعية الى الحالة السياسية المتمدنة متقفا مع رفاة سيطرة البرلمان على السلطة السياسية في انجلترا ولذا كان من نتائج عقدة تقسيم السلطة في المجتمع السياسي المتمدن الى ثلاثة أقسام هي:²

أ- **السلطة التشريعية:** وهي أسمى أنواع السلطة ويصفها لوك بأنها عليا حيث تمتلك السلطة النهائية في كيفية استخدام السلطة على الشعب ويظل المجلس التشريعي ملزما بقانون الطبيعة وغالب ما يقوم به هو وضع قوانين تعزز أهداف القانون الطبيعي وتحدد العقوبات المناسبة³ حيث أن هذه السلطة أهم وظيفة من وظائف الحكومة وتكون هذه السلطة بيد ممثلي الشعب الذين يحصلون على هذا الحق من خلال الانتخاب أو بالوراثة.⁴

ب- **السلطة التنفيذية:** وهي التي يعهد إليها بتنفيذ القوانين التي تصدر عن السلطة التشريعية، حيث تسهر هذه السلطة على تنفيذ القوانين دون أن تكون تابعة لتلك السلطة التشريعية.⁵

¹ جون لوك، الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي، تر: محمود وشوقي الكيالي، دار القومية لطباعة والنشر، دط، دس، ص ص 37-38.

² عبد الله الطاهر مسعود، الحكومة المدنية بين جون لوك وجان جاك روسو (دراسة مقارنة في طبيعة المجتمع السياسي) جامعة الزاوية، مجلة كلية الآداب، العدد التاسع والعشرون، الجزء الأول، 2020، ص 77.

³ سارة المديغر، فلسفة لوك السياسية، موسوعة شانفورد للفلسفة، نفس المرجع السابق، ص 25.

⁴ عبد الله الطاهر مسعود، الحكومة المدنية بين جون لوك وجان جاك روسو، نفس المرجع السابق، ص 77.

⁵ المرجع نفسه، ص 77.

السلطة التنفيذية هي سلطة اصدار الاحكام اللازمة لتطبيق تلك القوانين على حالات محددة وإدارتها وفقا لتوجيهات القانون كل من هذه الاجراءات لها تفسير ينص لوك على أن القوانين الوضعية صحيحة الى حد ما، حيث أنها مبنية على قانون الطبيعة ومن خلال تنظيم وتفسير، بعبارة أخرى يجب على السلطة التنفيذية تفسير القوانين في ضوء فهمها للقانون الطبيعي، لم يعتبر لوك تفسير القانون على أنه وظيفة مستقلة لاعتقاده بأنه جزء من كل الوظائف التشريعية والتنفيذية¹.

ج- السلطة الفيدرالية: (الاتحادية): وهي تلك السلط المكونة من ممثلين عن المدن والمقاطعات الانجليزية حيث يقو الملك بتعيين أولئك الممثلين (مجلس اللوردات)². حيث أن لوك قد أدرك أهمية السلطة التشريعية فقد جعلها أهم السلطات في المجتمع السياسي المتمدن (الدولة) ولهذا نراه قد رتب الحكومات وأنواعها على هذا الأساس فقسمها الى ثلاثة أقسام هي:

1- الحكومة الديمقراطية: وهي تلك الحكومة التي تكون السلطة التشريعية فيها بيد الاكثرية التي تقوم بوضع القوانين في الدولة كما تقوم بتعيين موظفين يقومون بتنفيذ تلك القوانين التي وضعوها، إن لوك يميل الى هذا النوع من الحكومات وذلك لاعتقاده بأن الأكثرية تكتسب لدى اتحاد البشر في مجتمع ما سلطة الجماعة بكاملها، ولذا فإن الاكثرية تكسب الحق في استخدام تلك السلطة من أجل وضع القوانين للجماعة من حين الى اخر، وتشرف على تنفيذ تلك القوانين بواسطة موظفين تعينهم من أجل ذلك، ونلاحظ بأن لوك من خلال حديثه عن الحكم الديمقراطي، قد أهمل دور الاقلية في المجتمع السياسي المتمدن حيث منح الاكثرية التي قد تعني نسبة 51% من مجموع أفراد المجتمع السياسي المتمدن كل

¹ سارة المديغر، فلسفة لوك السياسية، نفس المرجع السابق، ص26.

² عبد الله طاهر مسعود، الحكومة المدنية بين جون لوك وجان جاك روسو، نفس المرجع السابق، ص ص77-78.

الحقوق ولم يعط الاقلية التي قد تصل في بعض الاحيان الى نسبة 49% من أفراد المجتمع السياسي المتمدن أي دور في ذلك النظام¹.

إن لوك يخرج من هذا المأزق بتقرير أن الحكم الديموقراطي لا توجد به أقلية وأكثرية في سن القانون وإنما تكون القوانين بواسطة مختصين في القانون، ثم يتم وضعها عن طريق كل الشعب بدون استثناء من خلال الاستفتاء عليها، وبذلك لا تكون هناك أكثرية وأقلية في صنع القوانين، إنما تكون هناك قبول أو رفض تلك القوانين من الجميع من خلال الاستفتاء.

2-الحكومة الأقلية: (الحكومة الأوليغاركية): وهي تلك الحكومة التي تكون السلطة التشريعية فيها بيد الاقلية.

3-الحكمة الملكية: وراثية كانت أم انتخابية: هي التي تكون السلطة التشريعية فيها بيد فرد واحد في المجتمع السياسي المتمدن (الملك)².

إن نظرية لوك لفصل السلطات لا تملي نوعا معينا من الدستور ولا تمنع المسؤولين غير المنتخبين من الحصول على جزء من السلطة التشريعية، كان لوك يهتم أكثر بأن الشعب لديه ممثلين يتمتعون بسلطة كافية تمنع التعدي على حريتهم ومحاولات فرض ضرائب عليهم دون مبرر وذلك لأن لوك يؤكد أيضا أن الشعب يظل القوة العليا الحقيقية دائما³.

¹ عبد الله الطاهر مسعود، الحكومة المدنية بين جون لوك وجان جاك روسو، نفس المرجع السابق، ص78.

² المرجع نفسه، ص ص78-79.

³ سارة المديغر، فلسفة لوك السياسية، نفس المرجع السابق، ص ص28-29.

الفصل الثالث

الفكر السياسي عند جون لوك

تمهيد

- ◀ الفصل الثالث : الفكر السياسي عند جون لوك
- ◀ المبحث الأول: الفلسفة السياسية لجون لوك
- ◀ المطلب الأول: الليبرالية عند جون لوك
- ◀ المطلب الثاني : الديمقراطية عند جون لوك
- ◀ المطلب الثالث : بين الديمقراطية والليبرالية
- ◀ المبحث الثاني: الفكر السياسي لجون لوك وامتداداته
- ◀ المطلب الأول: اثر ونفوذ الفكر السياسي عند جون لوك
- ◀ المطلب الثاني : في مقارنة الفكرية بين جون لوك وجان جاك روسو
- ◀ المطلب الثالث: قراءة نقدية في تصور جون لوك للفكر السياسي ونظام الحكم

تمهيد:

يعتبر الفكر السياسي كل أشكال التفكير والتأمل العقلي في الظاهرة السياسية المتجسدة عمليا في السلطة السياسية، وهو التعريف الذي يسمح بملاحظة كل أشكال وأنواع ومستويات التفكير الإنساني في الظاهرة السياسية ومتابعة تأملاته المتعددة والمتباينة بشأنها في مختلف المجتمعات والعصور، ومن يقرأ تاريخ إنجلترا في المرحلة الانتقالية بين العصور الوسطى والتتوير أن فلسفة لوك السياسية كانت مرحلة مفصلية نحو تغيير النظام الملكي الاستبدادي في إنجلترا وإصلاحه لجهة انتقاله لشكل أرقى سمي في فيما بعد النظام الملكي الدستوري الذي تحد فيه صلاحيات الملك وتعطى الحكومة المنتخبة من الشعب نفوذا أكبر.

المبحث الأول: فلسفة لوك السياسية

المطلب الأول: الليبرالية عند جون لوك

مفهوم الليبرالية: من الصعوبة بمكان تحديد تعريف دقيق لليبرالية وذلك بسبب تعدد جوانبها وتطورها من جيل إلى آخر، فالليبرالية مصطلح يرمز إلى الحرية، أو ما يتفق مع الانسان الحد ويتوافق مع الحرية الفردية، برزت في أوربا منذ القرن السابع عشى واقتترنت بالثورة الصناعية وظهرت الطبقة البرجوازية الوسطى في المجتمع الأوربي.

وتعرف الموسوعة العربية العالمية الليبرالية بأنها: فلسفة اقتصادية وسياسية تؤكد على الحرية والمساواة وإتاحة الفرص.

كما جاء في المعجم الفلسفي أن الليبرالية: مذهب يقوم على احترام وحماية الفرد واستقلاله ومنحه أكبر قدر ممكن من الضمانات ضد التعسف.

من التعريف السابق نجد أن الليبرالية تهتم بحرية الفرد أولاً، وتحريره من كل العوائق التي من الممكن أن تحد من إمكانات الحرية ثانياً، إذ أن الليبرالية مفهوم واسع وشامل لكل المجالات التي تخص الفرد ثالثاً¹.

كما استقر معنى الفكر الليبرالي ومفهومه من خلال المساهمات الفكرية لأباء الفكر الليبرالي وخاصة جون لوك، فالفكر الليبرالي ليس فقط دعوة إلى الحرية، ولكنه بالدرجة الأولى، دعوة إلى الفردية واحترام مجال خاص يتمتع الفرد فيه باستقلالته وحريته، دون تدخل وازعاج وإذا نظرنا إلى مفهوم الحرية كما ساء في الفكر السياسي والممارسات العالمية نجد أنه تراوح بين مفهومين أساسيين، الأول هو الحق في المشاركة في اتخاذ القرارات

¹ تغريد حنون علي، التطورات المعرفية الليبرالية في السياسي الغربي المعاصر، مجلة دراسات دولية، العدد 92، 2023، ص126.

السياسية والثاني هو الاعتراف بمجال خاص للأفراد لا يجوز التعدي عليه أو التدخل فيه وهذه التفرقة بين المعنى القديم والحديث للحرية¹.

كان الإسهام الفكري لجون لوك عامل مهم في صياغة الكثير من المنطلقات للمنتظم الفكري، إذ عملت مبادئ لوك من خلال كتابه (في الحكم المدني) على تحديد المثل السياسية التي عرفت في غرب أوروبا باسم الفلسفة الليبرالية ... وهي المثل التي نادى بضرورة حماية الحريات والحقوق الفردية (حرية الفكر، والدين والإجتماع والرقابة على السلطة وحق الملكية وغيرها)².

إذ يؤكد لوك: (لما كان البشر أحرار ومشاوين ومستقلين بالطبع، استحال تحويل أي إنسان عن هذا الوضع وإكراهه للخضوع لسلطة إنسان آخر دون موافقته)، ويرسم لوك حدود السلطة بحيث لا تتعدى على حريات الأشخاص وممتلكاتهم حيث يقول: لا يحق للسلطة العليا أن تنتزع شيئاً من أملاك أحد دون موافقته لذا تحتم ضرورة أن يكون لأفراد الشعب حق الملكية. وقد إستلهم إعلان الإستقلال الأمريكي (1776م) مقولة لوك عندما أكد (أن الناس قد خلقوا سواسية وأنه لا ينبغي للسلطة أن تسلبهم حقوقهم الطبيعية في الحياة والحرية والسعادة، وأنه من أجل ذلك أقيمت الحكومات التي تستمد سلطاتها من رضى المحكومين وأنه من حق الشعب أن يغير هذه الحكومات إذ ما انقلبت هادمة لتلك الحريات)³.

وتعود جذور الليبرالية إلى أفكار جون لوك الذي يؤكد فكرة "القانون الطبيعي"، ووفقاً لهذه الفكرة فإن للأفراد بحكم كونهم بشراً حقوقاً طبيعية غير قابلة للتصرف فيها، كحرية الفكر وحرية

¹ محمد بن علي، الليبرالية في الفكر العربي المعاصر، المركز الجامعي احمد زيانة غليزان، مجلة متون، العدد الرابع، جانفي 2017، ص12.

² طلال حامد خليل، المرتكزات الفكرية الليبرالية (دراسة نقدية)، الجزائر، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد 15، جوان 2016، ص158.

³ المرجع نفسه، ص158.

التعبير والإجتماع والملكية. وقد شكلت هذه الفكرة إلهاما للثورات الكبرى في القرنين السابع عشر والثامن عشر كالثورة الإنجليزية (1688م)، والأمريكية (1773م)، والفرنسية (1789م)، مما نتج عنها من نظم سياسية ليبرالية¹.

وتؤمن الليبرالية بجملة قيم أساسية تأتي الحرية في مقدمتها حتى أنها إكتسبت إسمها من هذه القيمة، وحتى أن البعض رأى أن الموقف الليبرالي هو التعبير الطبيعي عن الإيمان بالحرية فالهدف الأساسي للمذهب الليبرالي هو ضمان الحرية أو التحرر وغياب القيود والموانع المعيقة لحركة الإنسان ونشاطه، على أساس أنها تعلق بممارسة الإنسان لحقوقه الطبيعية للفرد، يتوجب صونها من كل تعد أو أجور، وتحدثت الليبرالية عن المساواة بأشكالها السياسية والقانونية والإقتصادية والإجتماعية².

وقد تجلى مفهوم الحرية عند جون لوك حينما تصور حالة الطبيعية يمكن أن تكون حالة سلام تنتمي إلى العقد الاجتماعي وبفعله يكون هناك حالة من الاتفاق المحدود والشروط وقابل لأن يقود إلى الحرية.

إذ ان لكل إنسان الحق في صون حياته وحياته وما على الحكومات الا حماية ذلك بشكل اكيد وأفضل، لقد عملت مبادئ جون لوك السياسية على تحديد المثل السياسية والتي تمثلت بالفلسفة الليبرالية ونادت بضرورة حماية الحثوث والحرية الفردية إذ أكد لوك أن كل البشر أحرارًا مشاؤون ومستقلون بالطبع³.

فالليبرالية هي فلسفة فكرية ولست منصباً سياسياً قط، إذ تستند إلى الحرية المطلقة التي لا يجوز أن تقيد إلا إذا ألحقت ضرراً بالآخرين⁴.

¹ محمد فايز فرحات، الليبرالية والحرية، نفس المرجع السابق، ص 03.

² المرجع نفسه، ص 05.

³ تغريد حنون علي، التطورات المعرفية الليبرالية في الفكر السياسي الغربي، نفس المرجع السابق، ص 130.

⁴ المرجع نفسه، ص 126.

1-مراحل الفكر الليبرالي:

وإذا تتبعنا مراحل الليبرالية التي مرت بها نجد أنها على النحو التالي:

1-مرحلة التكوين: " فالفرد حر في أفعاله ومستقل في تصرفاته دون أي تدخل سواء من

الدولة أو أي مؤسسة أخرى هذه الحرية إعتنى بها الفكر الليبرالي باعتبارها موضوعا سياسيا يتعلق بالعلاقة بين الفرد والدولة وعلاقة الفرد حيث كانت وجها من أوجه الفلسفة الغربية المركزة على مفهوم الفرد ومفهوم الذات الذي يميز الفلسفة الغربية جميعها إذ ينطلق التحليل النفسي من الإنسان باعتباره الكائن الفاعل صاحب الإختيار والمبادرة"¹.

2-مرحلة الإكمال: حيث كانت هذه المرحلة الأساس الذي شيد عليه علمان عصريان مهمان

هما علم الإقتصاد وعلم السياسة النظري إذ أن المفهوم الأساسي في هذه المرحلة هو مفهوم الفرد العاقل المالك لحياته وذهنه وعلمه"²، حيث شيد علم السياسة العقلي المبني على التعاقد بين أفراد عقلاء مستقلين ومتساويين والمخالف لسياسة الاستبداد.

3-مرحلة الإستقلال: " في هذه المرحلة نزعنا الليبرالية من أصولها كل فكرة تنتمي الى

الإتجاه الديمقراطي بعد أن أظهرت الثورة الفرنسية أن بعض أصولها الليبرالية قد تنقلب عند التطبيق إلى عناصر معادية لها نعني هنا مفهوم المبادرة الخلاقة حيث أن الفرد الخلاق هو نتيجة التطور الطويل"³ حيث يجب المحافظة عليها لأنها كانت سبب تفوق أوروبا على باقي العالم إن الدولة الحديثة كما إستوحتها الثورة الفرنسية من تحليلات مفكري القرن الثامن عشر قد نفت حقوق الفرد المالك الخلاق باسم حقوق مجردة أسندت للفرد العاقل هذا الفرد العاقل لا وجود له في الواقع التاريخي في حين أن الفرد الخلاق هو نتيجة

¹ عبدا لله العروي، مفهوم الحرية، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993، ص 38.

² المرجع نفسه، ص 39.

³ عبدا لله العروي، مفهوم الحرية، نفس المرجع السابق، ص 41.

التطور الطويل لابد في رأي هذه المرحلة (مرحلة الإستقلال) من المحافظة الحقوق الموروثة ومن الإعتماد على التطور البطيء دون اللجوء الى الطفرة التي تقطع حبل الإستمرار التاريخي.

ان الفرد الواقعي هو الذي يجب ان يكون هدف السياسة لا الفرد الخيالي الذي قد يتحقق في المستقبل بعيد بعد تدخل الدولة وإستعمال العنف.

4-مرحلة التقوقع: أصبحت الليبرالية محاطة بالخطر وأن تحقيقها صعب أن لم يكن مستحيلا لما تستلزم من مسبقات غير متوفرة لدى البشر في غالب الأحيان بحيث يرتكز هنا المفهوم الأساسي لهذه المرحلة على مفهوم المغايرة والاعتراض بحيث أصبح الفرد يفضل الرضوخ إلى رأي الأغلبية وهذا يؤدي إلى زهول فكري وتعثر المجتمع ككل¹.

المطلب الثاني: الديمقراطية عند جون لوك.

إن هذا المفهوم يدل أصلا عند اليونان على حكم الشعب. يتألف من كلمتين "ديموس" بمعنى الشعب و "كراتوس" بمعنى حكم، ويكون المعنى الإجمالي هو ممارسة الشعب للسلطة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، أي عن طريق الممثلين عنه تم إنتخابهم. والديمقراطية لا تعني فقط إختيار الحاكم وتنصيبه في السلطة. إنما تعني كذلك القدرة على إتخاذ القرار ونقد الحاكم وإستبداله في حالة ما إذا لم يفي بإلتزاماته نحو الشعب. والديمقراطية توفر الفرصة لكل المواطنين أو أفراد الشعب أن يختاروا بكل حرية وبالتساوي حكاهمهم. فهي تمارس في مناخ من الحرية والمساواة.

¹ عبدا لله العروي، مفهوم الحرية، نفس المرجع السابق، ص 52

ولهذا فإن الديمقراطية تشكل إحدى الركائز الأساسية في الحكم المدني بالنسبة الى جون لوك. إذا كانت الدولة وليدة اتفاق حر وإرادي للأفراد فهذا يدل ضمناً أن الدولة المدنية وليدة عملية ديمقراطية في الأساس.

يرى لوك أن المواطنين أحرار ومتساوين ومستقلين بالطبع، ولا يتحولوا عن هذا الوضع وإكراههم على الخضوع لسلطة غيرهم دون رضاهم. و يفهم من هذا الكلام أن الحكومة لم تُفرض عليهم فرضاً، بل صنعوها هم بأنفسهم بكل حرية. يقول بالمناسبة " فجميع الدول إذن تضع قواعد لتعيين حق أولئك الذين كتب لهم أن يتقلدوا قسطاً من السلطة العامة، و طرق تقليدهم هذا الحق، بعد أن تقر شكل الحكومة وكل من يتوصل للسلطة بأساليب غير الأساليب التي نصت عليها قوانين الأمة، فلا حق له بالطاعة، حتى و لو لم يلحق بشكل الحكم أي تغيير، لأنه ليس الرجل الذي عينه القانون، و بالتالي الذي وافق الشعب عليه، و لا يكتسب مثل هذا المغتصب، أو من انبثقت سلطته منه، صفة شرعية حتى يصبح باستطاعة الناس الموافقة الحرة أولاً، و يوافقوا فعلاً على إسناد السلطة التي إليه إنتسبها ثانياً¹. وإذا لم يكن الحكم بصفة وراثية خص بها الله البعض دون البعض الآخر، تنتقل من الآباء إلى البناء مثلما يدعي * روبرت فيلمر، فلا بد أن تستمد السلطة من الشعب بعد الموافقة والاختيار الحر في إطار المساواة. وفي حالة عدم احترام هذا المبدأ فيكون الحاكم مغتصباً للسلطة ولا شرعية.

المطلب الثالث: بين الديمقراطية والليبرالية.

من الأهداف الأساسية والرئيسية التي يصبو إليها المجتمع المدني قضية تحقيق الديمقراطية والليبرالية، و زرع فلسفة التسامح بمعنى أكثر وضوحاً لأن جون لوك كان يسعى

¹ محمد كامل، النظم السياسية، الدولة والحكومات، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 1969م، ص17.

* السيد روبرت فيلمر 1588، 26 ماي 1953م، كان المنظم السياسي الإنجليزي الذي دافع عن الحق الملوكي الإلهي حصل على شهادة الثانوية العامة في كلية الثالوث في عام 1604م، توفي خلال 23 ماي 1653م، دفن في الكنيسة.

إلى بناء صرح ديمقراطي ليبرالي له خلفية فلسفية، وهي التأسيس لفلسفة التسامح التي بنى من خلالها "رسالة في التسامح" ويع النمط الديمقراطي القاعدة الأساسية للمنظومات السياسية وإن كان الهدف مجرد نظرية نحاول تحقيقها وتطبيقها في الدولة، والهدف من هذا في زمن جون لوك أي القرن السابع عشر هو إستبدال الملك بجهاز حكومي له سلطة تنفيذية، وله الحق في إدارة شؤون المواطنين بطريقة عادلة بعيدة عن الملكية الخاصة وحق الملوك ومحاولة تعميم مبدأ الديمقراطية الذي ينص على الحفاظ على حقوق الانسان والمساواة بين جميع الأفراد وضمان الحقوق الجوهرية للأفراد (الدين، حرية التعبير، حرية التفكير....الخ) وسؤال المطروح هنا هو ما العلاقة بين الحرية والديمقراطية؟

فيعتبر جون لوك أن الديمقراطية مفهوم متعدد بتعدد وجهات النظر والفلاسفة ولكننا سنعرض المفهوم المشهور قديماً وحديثاً في قاموس الفكر الحديث "هي حكم الجماهير أو حكم الناس جميعاً لأنفسهم"¹ ونفهم من هذا التعريف أن الشعب هو صاحب القرار وهو الذي يولي نفسه بنفسه أما بخصوص الليبرالية فالمفهوم عام عند دعاة هذا المذهب " هو أنها مذهب الحرية "² وهو مشتق لغوياً من كلمة ليبراليس التي تعني الشخص النبيل الكريم الحر" نفهم من هذا أن الليبرالية نتيجة الحرية في القرن السابع عشر على يد جون لوك " مؤسس الاتجاه الديمقراطي الليبرالي في الفلسفة السياسية وكان من أهم ركائز الثورة على الحكم التعسفي والسلطان المطلق للملوك والكنيسة، والمدافع الأكبر عن كفاح الطبقة البرجوازية النامية.... ومن ابرز المدافعين عن إقامة الحكم الدستوري وتحقيق الحرية الفكرية و التسامح الديني "³ فقد اتضح مما سبق أن الليبرالية توحى بالتححرر من كافة انواع الطغيان، سواء السياسي او

¹ طيب بوعز، نقد الليبرالية، دار التنوير للنشر، د ط، مصر، 2013، ص 16.

² المرجع نفسه، ص 18.

³ أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من افلاطون الى ماركس، نفس المرجع السابق، ص 95.

الديني أو الاقتصادي وحتى العقلي وإذا رجعنا مؤلفات جون لوك نجدها كلها تؤكد على هذا النوع من التحرر خاصة في كتابه (المقالة الثانية في الحكم المدني) الـذم استهله بتوضيح الحالة الطبيعية للإنسان كالتالي هي حالة الحرية في جميع ما يملك الإنسان سواء أجسادهم أو أملاكهم ولكن في حدود القانون الطبيعي "فالحرية تساوي حق الحفاظ على الذات، فالإنسان في الحالة الطبيعية حر بالمعنى الميتافيزيقي كما بالمعنى السياسي، لأن الحرية في الواقع ماهية الحياة والمساس بها يعني المساس بالحياة في حد ذاتها إن الذي يسيطر على حياتنا يجعلنا عبيد اهوائه، وأدوات غاياته، فالعبودية النقيض المباشر للحرية أم النقيض المباشر للحياة"¹، حقا الحرية هي الحياة وهي كرامة الإنسان وروح المجتمع وقد حدد لنا جون لوك قسامين من الحرية كالتالي:

الأولى: "حرية الإنسان الطبيعية واستقلاله عن أي سلطة عليا على الأرض وعدم خضوعه لإرادة بشرية قط أو لسلطة تشريعية"²، فقولته استقلال الفرد عن أي سلطة عليا على الأرض، يدل على الحرية المطلقة غير مشروطة بنوع من الشروط وهذه الميزة منحها الطبيعة للبشر ولا يحق لأحد أن ينزعها.

الثانية : تتمثل في " حرية الإنسان في المجتمع فتعني انه ليس مسخرا لسلطة تشريعية، سوى السلطة التي نصبت بالاتفاق في الدولة، وانه ليس خاضعا لي ارادة او مقيدا بأي قانون، سوى ما تسنه تلك السلطة التشريعية وفقا للأمانة التي عهد بها اليها " ³ من هذا نفهم ان الفيلسوف عرض لنا الحرية المطلقة في الحالة الطبيعية وكيف أن هذه الأخيرة تتحدد في الحالة الاجتماعية، أم تنقيد بقانون اتفق عليه الجميع وهو سار على الجميع. فهذا يدل على السلبات

¹ صالح مصباح، فلسفة الحادثة الليبرالية الكلاسيكية من هوبز الى كانط، دار الجداول، د ط، بيروت، 2014، ص 152.

² جون لوك، الحكومة المدنية، نفس المصدر السابق، ص 150.

³ المصدر نفسه، ص 151.

والأضرار التي تنجم عن الحرية المطلقة التي نادى بها فيلمر، فالحرية اذن ليست ما يذهب اليه السير روبرت فيلمر حيث يقول "حرية كل امرئ في ان يصنع ما يشاء وان يحيا كيف ما شاء ولا يتقيد بقانون" فالوك يرفض هذا النوع من الحرية ويطالب بأن توضع ضوابط للحرية تحت ضل المجتمع السياسي وهذه الضوابط من صنع الجميع ويخضع لها الجميع دون منازع، فالسلطة المطلقة أو الحرية المطلقة تعد خطرا على المجتمع ويجب القضاء عليها "كالتحرر من كل سلطة مستتدة ضروري لبقاء الإنسان ومتصل به كل الإتصال، بحث لا يتسنى لو ان يتخلى عن إلا بالتخلي عن ما يضمن بقاءه كحياته معا".¹

لذلك وكما قلنا سابقا يعد جون لوك من مرسخي مبادئ الليبرالية في العصر الحديث، ومن المتشددين في وضع ضوابط للنزعة التحررية والتي تخضع دائما للعقد الاجتماعي، وبناء على ذلك بدأت الليبرالية تنتشر و اتخذت العديد من الاشكال والاتجاهات، منها السياسي وآخر اقتصادي فكلمة "الليبرالية مأخوذة هنا بمعنى مزدوج فهي تعني اولاً ان المؤسسات السياسية تركز على مبادئ الجهورية التالي: سيادة شعبية، برلمانات، استقلالية القضاء، الحرية العامة، التعددية الحزبية"².

وعليه فليبرالية بعد سياسي يخدم المؤسسات السياسية واقتصادي يحقق اغراض المجتمع فليبرالية هي فلسفة اقتصادية كسياسية تركز على اولويات الفرد بوصفه كائن حر"³، وكانت بهذا الليبرالية التي قال بها لوك "تعديل لتلك التي نادى بها هوبز والتي غلب عليها التسلط"⁴، وقد توج الاول نصوصها الاخير بالصورة النهائية لتصوره للتسامح في رسالته الشهيرة بالفصلين

¹ جون لوك، الحكومة المدنية، نفس المصدر السابق، ص 155.

² موريس دوفرجه، المؤسسات السياسية والقانون الدستوري، تر: جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1992، ص ص 66-67.

³ الطيب بوعز، نقد الليبرالية، نفس المرجع السابق، ص 20.

⁴ صالح مصباح، فلسفة الحداثة الليبرالية، نفس المرجع السابق، ص 142.

الاخيرين من الحكم المدني، وهما قطبا تعديل لوك لليبرالية السياسية مباشرة، وقبل ان قدم لوك في رسالته في التسامح فهمه النهائي للتسامح، غير من البحث في التسامح سنة 1667 رأيه جذريا بتبني التسامح حلا للأزمة العقدية والسياسية الانجليزية والأوروبية مرورا بنص مختصر حول الفرق بين السلطان الكنسي والسلطان المدني يعود الى 1674 لهذا وكما سبقت الإشارة يقوم هذا الفهم بعناصر عديدة اعماها الفهم العلماني للكنيسة الذي يتجلى منذ تعريف لوك لها بأنها "جماعة حرة مؤلفة من اناس اجتمعوا بإرادتهم لعبادة الله علنا على النحو الذي يروونه مقبولا عنده وكفيلا بتحصيلهم للنجاة"¹، نفهم من هذا ان لوك نكر جانب الفصل في المنازعات الدينية من طرف الحاكم المدني، ولكنه اعطاه الحق في من يعكرون السلام العام وحث على انشاء كنيسة وطنية تعينها الدولة الى جانب الكنائس الحرة التي يسمح بها القانون كما تجلت المظاهر السياسية في عبارة مختصرة بكاملها في المادة الاولى في اعلان حقوق الإنسان والمواطن العام سنة 1789 م "يولد البشر ويبقون احرار متساوون في الحقوق، كلمتا الحرية والمساواة تعبران عن اساس الايديولوجية الليبرالية"² فهما الاساس الذي به يمكن للإنسان ان يحقق وجوده ويحافظ على الكرامة الإنسانية فالمساواة تعني ان كل الناس في مرتبة واحدة ولا يوجد شيء اسمه الوراثة او الحقوق الوراثة، اما الحرية فتعني ان الجميع احرار في تفكيرهم وفي طريقة عيشهم، كل هذا في حدود ما يسمح به القانون المدني.

ومن خلال ما سبق يمكن ان نوضح العلاقة بين المجتمع المدني والديمقراطية هي علاقة ضرورية كذلك ان " حب الديمقراطية هو حب المساواة والقناعة ايضا دوما يجب ان يتمتع كل واحد فيها بالسعادة ذاتها والمنافع ذاتها، ويجب ان يتمتع كل واحد بالملذذ ذاته وان يوحد فيها

¹ جون لوك، في الحكم المدني، نفس المصدر السابق، ص 10.

² عبد الله العروي، مفهوم الحرية، نفس المرجع السابق، ص 82.

ذات الآمال، وهذا الأمر لا ينتظر من غتّ القناعة العامة¹ وهذا دليل قاطع من *مونتسكيو عن مكانة الديمقراطية والليبرالية لدى اصحابها، فهي تساعد الأفراد على المشاركة في جميع المؤسسات الرئيسية الموجودة في المجتمع المدني، من منصب ونقابات ومساجد وكنائس... الخ، فهي تساعد على التشاور مع الآخرين من اجل الصالح العم، وهذا الجو يخلق لنا علاقة وطيدة بين الديمقراطية والمجتمع المدني ذلك "من خلال ما يقوم به المجتمع المدني من ادوار ووظائف تساهم في ترسيخ قيم الديمقراطية في الوعي والواقع"² فالمجتمع المدني يعتبر الحضن الأساسي والرئيسي لتقبل الديمقراطية والعمل بها حتى نحصل على مجتمع قادر على الممارسة السياسية بطريقة سليمة ونزيهة فالحرية تساعد الأشخاص على البحث عن طريقة جديدة وفرص تعويضهم عن نقائصهم، فتعد الانفتاح على الآخر والبحث عن ما هو احسن وانسب وبالتالي يمكن ان نستنتج ان المساواة هي قاعدة الديمقراطية والحرية هي اساس الليبرالية ولا يمكن الفصل بينهما والكل له مهامه المحددة، والحفاظ على المهام يساعد على الحفاظ الاستخدام الجيد لهذه الممارسات، وهذا كه يصب في هدف واحد هو انشاء مجتمع مزدهر يقوم على الحق والمساواة ويرفض الطغيان والقمع وكبت الحريات و الاستبداد.

¹ مونتسكيو، روح الشرائع، تر: عادل زعيتير، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ج1، 2017، ص 6.
 * مونتسكيو: شارل لوي دي سيكوندا المعروف مونتسكيو 18 جانفي 1689م، بورديو هو صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده حاليا العديد من الدساتير عبر العالم هو قاضي ورجل أدب وفيلسوف سياسي فرنسي في عام 1748م، نشر كتابا عنوانه «روح القوانين»، ولكن بدون إعلان عن إسمه كاتبا لهذا الكتاب، حيث أثر هذا الكتاب في الأباء المؤسسين للولايات المتحدة أثناء كتابتهم للدستور الأمريكي وهو أشهر فلاسفة عصر التنوير والحداثة، توفي خلال 10 فيفري 1755م -باريس.

² عبد الوهاب الكبالي، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1986، ص 58.

المبحث الثاني: الفكر السياسي لجون لوك وامتداداته

المطلب الأول: أثر ونفوذ الفكر السياسي لجون لوك.

لقد عاش لوك أكثر من سبعة عقود إستطاع من خلالها أن يساهم بعدة أعمال غطت مختلف مجالات الفكر والحياة كان لها صدى كبير في وطنه بريطانيا أول، ثم في أوروبا وخاصة في العالم الجديد.

وأهم ما كان يميز حياته هو تنقله، وكثرة نشاطاته، وغزارة وجددة أفكاره. يُعد التاريخ لوك من بين أعلام ومراجع الفكر التنويري في أوروبا. لقد ساهم بأفكاره الجديدة في مجال الفلسفة والسياسة إلى بروز رؤية جديدة في المعرفة والمجتمع أرست أرضية للحضارة الغربية وحولت المجرى التاريخي للشعوب الأوروبية وخاصة تحريرها من الحكم الإقطاعي والظلامية والإضطهاد الديني. إن إذا حللنا فلسفة وتعقبا تاريخ فكره، وجدنا أن فلسفته لم تخرج من العدم لقد كان مطالعا كبيرا على الفلسفة اليونانية والرومانية وعصره ولا شك أن هذا الإطلاع قد ترك أثرا في فكره، فرغم الملامح المبتكرة والمتميزة لفلسفته، إلا أنها تلاقحت في كثير من النقاط مع الفلسفة القديمة والعلماء وفلاسفة النهضة لا يوجد هناك مفكر أو فيلسوف لم يتأثر بغيره فتاريخ الفلسفة والفكر بصورة عامة قائم على عملية الإحتكاك والتفاعل. إلا أن هذا التفاعل ينتهي غالبا بإضافات وإبتكارات جديدة تؤثر هي بدورها في أعمال الآخرين إما خلال الحقبة التي عاش فيها الفيلسوف أو لاحقا¹.

وما يقال هنا فيما يخص فلسفة لوك، لسيما في المجال السياسي، هو أن فلسفته وليدة سياق و ظروف تاريخية، لها كيائها و مبادئها، و فيها ما فيها من أصالة و ابتكار والجزء الرئيسي الذي يتميز أكثر بالصالة و الإبداع هو فلسفته السياسية إذ يمكن القول أن المحور الأساسي الذي لقي إهتماما خاصا في فلسفته هو الجانب السياسي الخاص بنظرية العقد الإجتماعي

¹ جون ستورت، الحكومات البرلمانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017، قطر، ص 105.

والدولة، ولقد أثار هذا الجانب المهم من نظريته إهتمام الكثير من السياسيين و الفلاسفة بعده في إنجلترا وفرنسا وأمريكا في المرحلة المعاصرة فتلك الأفكار التي طرحها جون لوك حول الدولة و التي لخصها في كتابه المشهور "مقالتين حول الحكم المدني و "رسالة في التسامح"، لفتت إهتماما إستثنائيا لدى بعض الفلاسفة في أوروبا، و نخص بالذكر هنا فرنسا في القرن الثامن عشر و أمريكا في القرن التاسع عشر¹.

لعل العمود الفقري للفكر الليبرالي الغربي يركز بكل تأكيد على فكر الفيلسوف السياسي الإنجليزي **جون لوك Locke**، ففكره يتزوج تماما مع فكر ***أدم سميث*** في كتابه الشهير " ثروات الأمم"، ويمثل الأساس الليبرالي الذي تقوم عليه المجتمعات الغربية حتى اليوم، **فجون لوك** يمثل النتاج الطبيعي للثورة الإنجليزية، فلقد عاصر مخاطر الثورة التي اندلعت في الحقبة الرابعة من القرن السابع عشر، التي تلتها الديكتاتورية الدينية ***أوليفر كرومويل***، ثم عودة الملكية مرة أخرى على يد تشارلز الثاني الذي جرت الإطاحة به مرة أخرى فيما عرف بـ "الثورة العظيمة" **The Glorious Revolution** عام 1688م، وهي الثورة التي وضعت أسس الملكية البرلمانية في إنجلترا، والتي أصبحت النظام السياسي لبريطانيا حتى يومنا هذا الذي بمقتضاه يملك الملك ولا يحكم، وتكون السيطرة للبرلمان مع الإبقاء على الهوية البروتستانتية لإنجلترا وقد كان من الطبيعي أن يكون لهذه الثورة فلاسفتها ومن يدافعون عنها، وكان **جون**

¹ جون ستوارت، الحكومات البرلمانية، نفس المرجع السابق، ص106.

* **أدم سميث**: فيلسوف أخلاقي ولد كير كالدي بالمملكة المتحدة سنة 1723م، وهو عالم اقتصادي أسكتلندي، يعد مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي ومن رواد الاقتصاد السياسي، هو أب الاقتصاد الحديث وقد اشتهر باختصار باسم "ثروة الأمم"، دعى على تعزيز المبادرة الفردية وحرية التجارة بوصفها الوسيلة الفضلى لتحقيق أكبر قدر من الثروة والسعادة توفي سميث عام 1790م.

* **أوليفر كرومويل**: 25 أبريل 1599م - 3 سبتمبر 1658م، هو قائد عسكري وسياسي إنجليزي اعتبره نقاده أحد القادة الديكتاتوريين جعل إنجلترا جمهورية وقادة كومونولث إنجلترا وكان من أبرز المدافعين عن إعدام تشارلز الأول في جانفي 1649م، توفي عام 1658م.

لوك أبرز هؤلاء، ولم يعرف الرجل أن دفاعاته الفكرية عن الثورة الإنجليزية جعلت من كتاباته حجر الزاوية للفلسفة الليبرالية الغربية¹.

ألف جون لوك مقالتين مهمتين سنة 1690م بعنوان «**Treaties Two The**» ، ولكن كانت المقالة الثانية أهم مم كتبه لأنها تضمنت على فكره السياسي، فلقد وضعت الأسس الفكرية لما يجب أن تكون عليه الأنظمة السياسية في الدول، فبدأ فكره من منطلق أن الحكام لديهم مسؤولية سياسية أمام شعوبهم، وضرورة إخضاع السلطة السياسية لسلطة القانون، وقد رأى لوك أن سلطات الحاكم يجب أن تحدّها القوانين والتقاليد، بالتالي كان من دعاة أهمية الإرساء مبادئ الحكم المطلق، فاتخذ رؤية مختلفة للغاية عن المفكرين السابقين عندما تعامل مع فكرة الحالة الطبيعية الأولى، فبالنسبة له طبيعة الإنسان ليست سيئة كما افترض البعض ومن بينهم توماس هوبز، ذلك أنه لم يكن في حرب مع الجميع، بل إنه رأى عنصر التعاون هو الغالب بوصفه أساس بناء المجتمعات التي يحتاجها الفرد، وذلك حتى يستطيع أن يصل إلى أهدافه الجماعية من خلال التعاون مع الغير، و من ثم يكون البقاء و التنظيم هو الأساس الذي يسعى إليها كل فرد، وقد رأى هذا الفيلسوف أن المجتمع الناشئ عن هذا الفكر يجب أن تحكمه مجموعة من القوانين الطبيعية، وتكون هذه العوامل².

وقد تمركزت فكرته للتوجه الليبرالي على أساس مفهوم الملكية الخاصة، أي الحق الطبيعي للفرد في الملكية وفقاً لقدراته و جهده الجسدي و الفكري، بل يمكن القول إنه الحق الأساسي الأول له بعد الحياة، وقد ارتبط هذا بطبيعة الحال بالظروف الدولية السائدة، فالقرن السابع عشر كان مبنياً على فكرة الهجرة الأوروبية للأميركيتين، ومن خلالها نالت إنجلترا قسطاً كبيراً من الأراضي في شمال أميركا، فلقد كان الهدف الأساسي لهذه الهجرة هو تملك الفرد الأراضي

¹ أزرقى مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك، نفس المرجع السابق، ص 113.

² المرجع نفسه، ص 114.

في العالم الجديد بعدما ضاقت الفرص أمامه في موطنه الأصلي بسبب الإقطاع وانحسار الرقعة الزراعية، وبالتالي صارت فكرة الملكية شيئاً مهمّاً بالنسبة لمفكري هذا الوقت، لا سيما أن أوروبا لم تكن قد خرجت بالكامل من عصور الإقطاع بعد، ولهذا السبب جاء الاهتمام بالملكية الخاصة، حتى إن جون لوك رأى أن هذا الحق يأتي قبل المجتمع ذاته أو الحكومة، ومن ثم لم يكن مستغرباً أن يضع أولوياته على أساس "الحياة، والحرية، والملكية".¹

وعلى هذه الأسس، بدأ الفكر الليبرالي السياسي يأخذ منحاه في المجتمعات الأوروبية انطلاقاً من إنجلترا، وهذا لم يمنع من سبق جون لوك نحو هذا التوجه، ولكنه يعتبر ممن وضعوا اللبنة الأولى للنظرية الليبرالية. ويمكن إرجاع هذا إلى أن الرجل كان ابن عصره، وأرتبط بالنشاط السياسي الذي حضر للثورة الإنجليزية، كان له الأثر في تبرير الثورة وما خلقتة من ظروف سياسية عدها كثير من المؤرخين الضوء الأخضر لبناء نظم سياسية أوروبية جديدة تكون أكثر انفتاحاً لتعلن عن نهاية عهد السلطة المطلقة للملوك، وقد نتج كذلك عن هذه الحركة، توجه جديد نحو مزيد من التسامح الديني في إنجلترا، وتبعتها أوروبا في مراحل متفرقة، يعد كامتداد طبيعي لحقوق الملكية والحريات العامة و الفردية و أن تتوسع القائمة لتشمل حرية العقيدة كذلك، خاصة أن إنجلترا كانت قد مرت بحرب أهلية كان الصراع الطائفي بين الإنجليكيتين الذين يمثلون الأغلبية، والكاثوليك الذين ارتبطوا بالملكي عاملاً أساسياً صنف لوك طبيعياً حرية العقيدة على أساس أنها جزء من الحريات الفردية، وقد كان كذلك سابقاً إلى وضع الحجر -الأول لمبدأ الفصل و التوازن بين السلطات، ولكن هذا التصور لم يتطور و لم يتبلور إلا لاحقاً، خاصة مع الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو في كتابه الشهير روح القوانين.²

¹ أزريقي مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك، نفس المرجع السابق، ص 115.

² المرجع نفسه، ص 115.

وانطلاقاً من هذه الآليات والتصورات الجديدة التي وضعها جون لوك بدأت أوروبا تسلك طريقاً ليبرالياً بدأ يكتمل شكله مع ظهور الفكر الاقتصادي الليبرالي الذي يتزعمه كلا من آدم سميث ودافيد ريكاردو في إنجلترا، وفرنسوا كيسناي بفرنسا جعل هؤلاء من الحرية أساساً للنظام الاقتصادي وذلك بالدعوة إلى رفع كل القيود أمام الفرد وتحرير السوق والتجارة.¹

أول صدى وجدته إذن الأفكار السياسية الجديدة التي أتى بها جون لوك كان في بلده إنجلترا كان لتصوره الجديد حول السياسة و المجتمع و الدولة أثر كبير في حدوث الثورة المجيدة (**Glorious Revolution**) على العرش البريطاني التي أدت إلى عزل الملك جيمس الثاني في نوفمبر 1688م لقد شكلت نظريته السياسية الأرضية الأولى التي بنيت عليها الدولة الجديدة في إنجلترا أين تم تقليص الحكم الفردي المطلق و تعزيز سلطة الشعب يمكن إذن القول أن من أهم المنجزات السياسية لـ **جون لوك** هو نجاح الثورة المجيدة وانتصار التيار البرلماني على الملكيين و تغيير نظام الحكم من الملكي المطلق إلى المقيد بقوانين يشرعها البرلمان و من أهم الآثار الناتجة عن النظرية السياسية للوك هو إصدار وثيقة الحقوق الإنجليزية سنة 1689 وتعتبر هذه الوثيقة بمثابة قانون رسمي تم الإعلان عن الحقوق و الحريات، وهو أحد الأدوات الأساسية للدستور البريطاني نتيجة الصراع الطويل الذي دام طوال القرن السابع عشر بين ملوك ستيوارت و الشعب الإنجليزي و البرلمان و حسب بعض المؤرخين، كان لأفكار لوك أثر كبير على محتوى الوثيقة، أي حماية الحقوق الطبيعية للمواطنين من طرف الحكومة و هذه وثيقة الإنجليزية مهمة أصدرها البرلمان في فيفري 1689 انتهت بها سلطة الملوك المطلقة، إذ أعلن أعضاء البرلمان بطلان سلطة الملك المزعومة في تعطيل القوانين أو عدم العمل بها أو الاستغناء عنها دون موافقة البرلمان، وأبطال العمل بالمحاكم الاستثنائية وعدم مشروعية جباية الملك للضرائب بدون موافقة البرلمان، وان من حق أفراد الشعب تقديم

¹ فولتير، رسالة في التسامح، تر: هنرييت عبودي، دار بترا للنشر والتوزيع، ط1، 2009، دمشق، ص131.

العرائض والتظلمات إلى الملك دون جواز تعرضهم للعقاب من أجل ذلك، وأنا الانتخابات البرلمانية يجب أن تكون حرة، وعدم عرقلة حرية الرأي والمناقشة وكافة الإجراءات ووجوب مراعاة العدالة وعدم الإفراط في العقوبات والغرامات والرسوم التي تقتضى من الأفراد، وبهذه الوثيقة أرسيت دعائم الحرية الفردية في إنجلترا.¹

من الناحية الفلسفية، امتدت أفكار لوك إلى مفكرين وفلاسفة آخرين سواء داخل إنجلترا أو خارجها لا ريب أن البعض ممن أتوا بعده قد تفاعلوا وتلاحقوا مع أفكاره الفلسفية والسياسية ففيما يخص هذه الأخيرة كان جون ستورت مل، من بين أولئك الذي إطلعوا وتأثروا بأفكار جون لوك الذي يفصله عنه قرن من الزمن إهتم جون ستوارت، وهو ذو توجه ليبرالي، بالتنظير للحرية الفردية والمساواة والعدالة، والتسامح. و من الطبيعي أن تكون الأفكار التي أسس لها جون لوك فيما يخص الحكومة التي يبحث عنها الناس قد ألهمت بشكل أو بآخر رؤية من إلى الدولة و الحكومة و دورها في تحقيق ما يصبو إليه الفرد من سعادة داخل المجتمع المدني ألم يقل لوك أن لإنسان كان سعيدا في الحالة الطبيعية، و تعاقد مع بني جنسه هو الحفاظ على هذه السعادة والحكومة الديمقراطية هي تلك التي تعين و تمارس سيادتها بكل حرية و في هذا الإطار نجد أن من يمجد و يرفع من شأن الحرية و الديمقراطية و الحكومة البرلمانية التي تشكل أفضل فضاء للمواطنين كي يقرروا مصيرهم يقول من "لقد أدركنا بأن نظام الحكم النيابي هو النظام الأمثل للحكم الأكمل، وأن ملائمة أي قسم من بني الإنسان لذلك النظام تكون بنسبة ما بلغوه من درجة في التحسين العام و كلما كان الناس أقل تطورا في المدينة كلما كان هذا النظام أقل ملائمة لهم، ذلك أن أهلية أي شعب للحكم النيابي لا تعتمد على ما يحتله من مكانة في ميزان الإنسانية العام بقدر ما تعتمد على مدى ما يمتلكونه من الضروريات الخاصة التي

¹ فولتير، رسالة في التسامح، نفس المرجع السابق، ص 169.

ترتبط ارتباطا وثيقا بدرجة تقدمهم العام"¹، كان مم يدعو كذلك إلى توازن السلطات و فرض الرقابة الشعبية على السلطة التنفيذية وعدم سيطرتها على السلطات الأخرى يذكر في هذا الشأن " ولذلك فما لم تكن السلطات التي من مهمتها مراقبة السلطة التنفيذية و تقييدها مدعومة بشعور البلاد و مؤيدة برأي عام فعال، فإن السلطة التنفيذية تستطيع دائما، بفضل الوسائل المتوفرة لديها، إبعاد نفوذ تلك السلطات المراقبة عنها أو إكراهها على الخضوع والاستسلام لها، دون أن يخبرها أدنى شك بأن عملها سيحصل على التأييد العام"² يبدو واضحا هنا أن الشعب يمارس سلطته بفضل الرقابة التي هي الوظيفة السياسية للبرلمان و يبين هنا لوك أن النظام النيابي هو الأصلح لتحقيق سعادة الشعب.

وهو ما ينصب في الاتجاه الذي كان يدعو إليه جون لوك حينما عارض بشدة الحكم الفردي المطلق الذي أطاحت به الثورة المجيدة سنة 1688 وانتصر فيها البرلمانيون الذي كان هو نفسه يدعمهم بقوة. إذا كان لوك يعتبر قاعدة الأكثرية كمبدأ للحكم المدني، فإن من ينتقد هذا المبدأ ويبيدي شكوكا كبيرة حوله لكونه يشكل خطر على حق الأقلية والحرية الفردية وهذه الفكرة من أهم النقاط التي ركز عليها من في كتابه "الحكومات البرلمانية". لقد أعطى أهمية كبيرة لموضوع الحرية من أجل حماية الفرد من الطغيان والاستبداد و الحاكم مهما كان قد ينزلق و تجره السلطة نحو التجبر والاستئثار بالحكم ما لم تكن هناك آليات تحد من أفعاله و ذلك بتقييد سلطته على المحكومين و كان لوك يقول أنه في حالة الإنحراف الحاكم عن العقد، يجد الأفراد أنفسهم في الحالة الطبيعية، بالتالي تكون الحرية حق طبيعي مقدس لا ينبغي المساس به و هو القاعدة الأساسية التي يقوم عليها الفكر الليبرالي بشكل عام يمكن أن نقول هنا أن لوك، استطاع أن يضع الأسس الأولى للدولة الليبرالية التي تقدر الحرية الفردية و

¹ فولتير رسالة في التسامح، نفس المرجع السابق، ص 126.

² مونتسكيو، روح الشرائع، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ج1، 2017، ص 20.

الملكية في كل المجالات. وكانت إنجلترا مهدا لهذا الفكر الذي امتدت جذوره إلى باقي أوروبا والعالم الجديد.¹

المطلب الثاني: في مقارنة الفكرية بين جون لوك وجان جاك روسو.

تمثل نظرة العقد الاجتماعي الأفراد الذين كانوا يعيشون على الفطرة يتمتع كل واحد منهم بحريتهم، دون أن تكون هناك حدود أو قيود ترد عليها، ولكن مع هذا أدت الحرية المطلقة إلى الفوضى والاضطراب، وذلك لأنه يمتلك كل شخص فعل ما يريد فإنه لا يملك أي فرد فعل أي شيء ؛ لأنه إذا أراد الكل أن عس حرا، فإن الكل سيعيش عبدا، فحيث تكون الحرة المطلقة، تكون هناك عبودة مطلقة، ولذا فإن الأفراد اتفقوا على أن يخرجوا من حياة الفوضى إلى عهد النظام، وقبل كل واحد منهم التنازل عن بعض حقوقه أو كلها، وأن العيش مع الآخرين تحت إمارة السلطة توفق بين المصالح، ولكن هناك اختلاف في أطراف العقد وأثره، ولذا سنعرض من خلال ما سبق ذكره حول هذه النظرة أوجه التشابه والاختلاف بين لوك وروسو.

أولا: أوجه التشابه:

تعتبر نظرية العقد الاجتماعي عند لوك هي فلسفة عملت على الحفاظ على حقوق الإنسان لكونها حقوق طبيعة متمثلة في حق الحرية والحياة وحق الملكة، لا من التنازل أو التخلي عليها بأي شكل من الأشكال² ولا يتم التعاقد بين الأفراد إلا من أجل الحفاظ على عليها في ظل مجتمع مدني يعمل على حمايتها والحفاظ عليها، وهذا بتصور لوك تصور قائم على حرية الاختيار، وعلى ميل ذلك الإنسان رغم فردانيته إلى الاجتماع وطاعة القانون الطبيعي ومقاومة من ينحرف عنه، وهذا من أجل حماية حقوقه وحياته، كما عمل روسو على هذا

¹ مونتسكيو، روح الشرائع، نفس المرجع السابق، ص 20.

² فضل الله محمد إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، ط1، مصر، بستان المعرفة، 2011، ص

المبدأ في حفظ حقوق الإنسان لكونها حقوق طبيعة والتالي "فإن فلسفة العقد الاجتماعي كما صاغها لوك وروسو، هي فلسفة تأصيل حقوق الإنسان تأصلاً جذرياً، أي جعلها حقوقاً سابقة عن كل عقل وكل مجتمع، فهي حقوق غريزية قبل أن تصبح مرتبطة بالوعي والمعرفة ؛ أي قبل أن ترتبط بالعقل والمجتمع فهي حقوق لا تكتمل بصفة نهائية إلا عند الوعي بها وتأسس المجتمع المدني من أجل الحفاظ عليها، بما هي حقوق أصلية تطورية ومتكيفة مع طبيعة البشر وما تقتضيه"¹. لأن حق المساواة أمام القانون هو أصل لحقوق الإنسانية، يوجد قبل العقل والوعي، لكن هذا لا يعني أن العقل يتعارض مع الحفاظ على تلك الحقوق، بل إنه يكتشفها وعرفها بإدراكه، ومنه يستطع توفير ظروف ملائمة للحفاظ عنها.

يؤمن لوك وروسو في مبداهما السياسي أن حالة الإنسان الطبيعية هي أن البشر في حالة الطبيعة أختيار وليسوا أشرار، وأن نظام الطبيعة كان قائماً على السعادة²، يتضح من خلال إيمان لوك وروسو بأن الحالة الطبيعية التي من أجل الحفاظ على بقاءها والسعي لحياة السعيدة لحماية حقوقهم بعيداً على الصراع والحرب.

ويبني كل من لوك وروسو نظرة العقد الاجتماعي، على أن للإنسان حقوقاً طبيعية تحكم الرغبات الفردية وتقيم العلاقات الطبيعية بين الأفراد على أساس الحرية والمساواة، فهي علاقة كائن حر بين الأفراد على أساس الحرية والمساواة. ألا أنها علاقة كائن حر بكائن حريص كل طرف على حرية أخيه³، وعلى هذا الأساس يقر كلاهما من خلال علاقة كائن حر بكائن حرص كل طرف على حرية الآخر هو ما يؤدي بتعاقد الأفراد فيما بينهم، من أجل تكوين مجتمع سياسي يحافظ على حقوقهم وحياتهم، وممتلكاتهم.

¹ الحاج رباني، نظرية في العقد الاجتماعي تأصيل لحقوق الإنسان عند هوبز، لوك، روسو، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، 2002-2003، ص124.

² فضل الله محمد إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، نفس المرجع السابق، ص 213.

³ المرجع نفسه، ص 215.

تتادي نظرة العقد الاجتماعي عند لوك وروسو بالحرية هي المسؤولية الأولى التي يدافع كلاهما عليها وأن للشعب دور في اختار حكامه ووعيمهم بقديسه الاختيار، وأن الحكومة ما وجدت إلا لكي تصلح، كما أن الطاعة للحاكم أمر واجب بشرط انعدام الظلم على المحكومين¹، تتخذ الحرية عند لوك وروسو المبدأ الأساسي للعقد الاجتماعي لأنه لا من للقوة والاستبداد أن تصنع إرادة عامة تقوم بنظام حكم أمثل يقوم على صيانة حقوقها وحمايتها.

يتفق روسو مع لوك أيضا بأن نظام العبودية للإنسان أمر مرفوض، وذلك أن العبودية هي امتلاك فرد لأخيه والسيطرة عليه، لأن كلاهما يرمزان للحرية المطلقة التي يجسدها القانون الطبيعي القائم على الحرة والمساواة، والمحافظة على ملكية الفرد²، وعلى هذا المبدأ لا يكمن أن تكون سلطة عليا على الإنسان، وإنما تكون حريته تحت قانون الطبيعة، فالعبودية هي أن يملكه مفتاح شخصيته حتى عواطفه وشهواته.

إن مبدأ الحكومة التي يشير إليها لوك وروسو هو تنفيذ القوانين، التي تهدف من خلالها إلى الحفاظ على الملكية والحريات، وسيادة الشعب، فالحكومة ليست بعصا إرهاب الا على الخارجين على طبيعة قوانينها³.

وبالتالي فالحكومة ماهي إلا تعبيراً عن ترابط الأفراد ببعضهم، دون التدخل للحد من الحقوق، وأن مهمة القانون الذي تسنه الحكومة هو حماية مصلحة الفرد.

أما فيما يخص النظام فإننا نجد أن النظام الأمثل لدى لوك وروسو هو النظام الديمقراطي، الذي يقتضي بموجب قوانينه حرة الرأي للشعب، فالفرد له الاختيار الحر المعبر عليه، وهذا ما تهدف إليها نظرة العقد الاجتماعي عند لوك وروسو إلى الحرة والمساواة، حيث ينفي لوك وروسو

¹ فضل الله محمد إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، نفس المرجع السابق، ص 218.

² المرجع نفسه، ص 220.

³ المرجع نفسه، ص 221.

مبدأ القوة التي ينادي بها هوبز في تأسيسه للعقد الاجتماعي، لأن القوة تتنافى مع الحالة الطبيعة عند كل من لوك وروسو.

ثانياً: أوجه الاختلاف

تتباين مبادئ وشروط العقد الاجتماعي عند أصحابها (لوك، روسو) فكلاهما يحمل وجهة نظر معينة ورأي مخالف للآخر، وبعد أن أبرزنا نقاط التشابه، يحيلنا أن نعرف ونبرز نقاط الاختلاف بينهما.

يتفق لوك وروسو كما ذكرنا آنفاً أن حالة الطبيعة للفرد هي خيرية وليست بشريرة وأن نظام الطبيعة قائماً على السعادة ولكن تختلف وجهة النظر للإنسان لهذه الحالة فلوك يقر لنا بأن الإنسان أدرك الحالة الطبيعة من خلال عقله، وهذا أن قانون العقل يتم من خلال تنظم الحياة السعيدة التي فيها المساواة والحرية فيبين لوك " أنه لا أحد يجهل القواعد والقوانين المختلفة التي يستنبطها العقل الطبيعي من هذا التساوي بيننا وبين من هم بمثابة ذواتنا من أجل تنظيم الحياة¹، بينما روسو يتصور أن حالة الطبيعة هي حالة استقرار وحياة سعادة، يعيش فيها البشر أفراداً مستقلين عن بعضهم البعض، لا يعرف بعضهم بعض، ومع ذلك فهم أحرار ومتساوين بالطبيعة وهم يتمتعون بكل ما يرغبون فيه بفضل طبيعتهم الشهوانية والخيرة، وذلك أن طبيعة البشر هي طبيعة غريزية تحكمها العاطفة والرأفة التي تعبر مصدراً لسعادة البشر²، تختلف نظرة روسو للوك في مصدر السعادة للفرد في حالتهم الطبيعة الأول يرى أنها العقل يحكمها، فالفرد لا يمكنه أن يدرك إلا من خلال العقل فهو الذي ينظم حياته، والثاني يردها إلى الغريزة والعاطفة.

¹ جون لوك، في الحكم المدني، نفس المصدر السابق، ص 140.

² الحاج رباني، نظرية في العقد الاجتماعي تأصيل لحقوق الإنسان عند هوبز، لوك، روسو، نفس المرجع السابق، ص 123.

ما يفترض لوك أن الإنسان الطبيعي هو إنسان معتدل يميل إلى الخير وذلك فهو يحافظ على حقوقه وحقوق غيره الذي يحترم فيه القانون الطبيعي، من هنا يؤصل لوك للحق في الملكية والحق في المقاومة من حيث هما حقان طبيعيان ومصدرهما الإنسان ذاته، لذلك فالعقد الاجتماعي ليس إلا وسيلة للحفاظ على حقوق الإنسان:

بواسطة إنشاء المجتمع المدني الذي يقوم على إرادة الأفراد، ومنه فهو غير قائم على القوة كأساس لهذا المجتمع تتعارض مع الحفاظ على حقوق الانسان التي هي أساس وجود كل كائن بشري¹، أما روسو فافتراض أن الإنسان خير بطبيعته، وهو ما كان سببا في سعادته بذاته التي تحمل في جوهرها كل الحقوق الإنسانية، ومنه فالحقوق الإنسانية هذه، هي حقوق طبيعية لا من التنازل أو التخلي عنها، لذا فإن العقد الاجتماعي الذي ينشأ بواسطة الإرادة الجماعية القائمة على الوعي والعقل هو الحل الضروري والحتمي للحفاظ على تلك الحقوق²، يتضح من خلال هذا التباين أن لوك وروسو في نقطة حقوق الإنسان في حالة الطبيعة، إلا أنهما يختلفان على مبدأ إدراك الإنسان لهذه الحالة الطبيعية، لوك يقرها بالعقل وروسو يرجعها إلى أن الغريزة والعاطفة هي التي تحكمها، كما أن هذه الحالة الطبيعية عند روسو مثالية من الحرية والمساواة. أما التباين الآخر، فهو في أسباب الانتقال من حالة الطبيعة إلى المجتمع المدني، يتصور لوك أن سبب الانتقال هو البحث عن وضع أفضل، يبحث فيه الفرد عن ضرورة الأمن والحفاظ على الخيرات المدنية التي يمتلكها الإنسان، يؤكد لوك ذلك " رغم محاسن الطور الطبيعي لفرط ما صيبهم من عناء وهم على هذا وهم على هذا الطور، لذلك يتفق أننا فلما نجد عددا من الناس يعيشون معا في هذا الطور، فالمخاطر التي يتعرضون لها فيه من جراء هذه السلطة المتقلبة الهوجاء التي تحول كل امرئ الحق بمعاقبة إساءات الآخرين تزعمهم على

¹ الحاج رباني، نظرية في العقد الاجتماعي تأصيل لحقوق الإنسان عند هوبز، لوك، روسو، نفس المرجع السابق، ص 125.

² المرجع نفسه، ص 125.

الالتجاء الى قوانين الحكومات الثابتة حيث يتاح لهم المحافظة على أملاكهم¹، أما سبب الانتقال عند روسو هو فكرة الملكية فهي فكرة ولدت التفاوت بين البشر، إذ يدخل الناس في حرب وصراع، وأن فكرة التملك التي يتصورها روسو هي فكرة ليست بجديدة وإنما هي سابقة لفكرة أخرى، حيث يتصور روسو " أن المجتمع الطبيعي الذي بدأ صدفة في الظهور يقتضي تقدما في المعرفة والوعي، وهو ما يتماشى مع منطلق تطور الطبيعة البشرية، وذلك بعرض تترية هذه الطبيعة عن الوقوع في الخطأ، لذلك فإن فكرة التملك التي يعتبرها خطوة أولى على طريق الخروج من الحالة الطبيعية"².

كما يتضح الاختلاف أيضا في مكونات العقد الاجتماعي إذ يعتبر لوك أن الفرد يتنازل عن بعض حقوقه أي أن الفرد يتنازل عن حقوقه بالقدر اللازم لإقامة السلطة، حيث يتجسد مفهوم لوك لهذا بأن تكون حياة الفرد منظمة وذلك بحفظ ممتلكاته وحماية حقوقه من بني جنسه سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي فيرى لوك " تنازل الفرد عن حقوقه ليس تنازلا للحاكم بل هو تنازل للمجتمع لتكون الكلمة الأولى للرعية" أما بالنسبة لروسو فإنه فترض أن يتنازل الفرد عن كل حقوقه للإرادة العامة، وهذا شرط طبق على الجميع بالتساوي من دون أن يفقد الأفراد حريتهم وحقوقهم، وذلك في قوله " ومن المعلوم أن هذه الشروط تختزل في شرط واحد ألا وهو أن يتنازل كل شريك في الاجتماع عن شخصه، وعن جمع حقوقه تنازلا تاما للمجموعة كلها³، فبموجب هذا يتنازل الأفراد عن حقوقهم للمجتمع، وهذا شرط طبق على الجميع بالتساوي، من دون أن يفقد الأفراد حرياتهم وحقوقهم.

¹ جون لوك، في الحكم المدني، نفس المصدر السابق، ص 213.

² الحاج رباني، نظرية في العقد الاجتماعي تأصيل لحقوق الإنسان عند هوبز، لوك، روسو، نفس المرجع السابق، ص 62.

³ فضل الله محمد إسماعيل، السعيد محمد عثمان، نظرة القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي الحديث، نفس المرجع السابق، ص 27.

المطلب الثالث: قراءة نقدية في تصور جون لوك للفكر السياسي ونظام الحكم

على الرغم من كون فلسفة جون لوك تمثل إحدى أهم الفلسفات في الفكر الحديث، وعلى الرغم من أنها شكلت ثورة في مجال الفكر الغربي وتم الاعتماد على الكثير من مبادئها في مجالات السياسة والمعرفة إلا أنها تعرضت لمجموعة من الانتقادات من قبل من تلاه الباحثين والفلاسفة تمثلت فيما يلي:

1- يرى إبراهيم أن لوك جعل للمعرفة مصدرين أساسيين هما المصدر التجريبي والمصدر الحدسي وهما مصدران متضادان مختلفان.

2- لقد أصاب النسق الفلسفي المعرفي عند لوك شيء من الخلط والاضطراب حتى أنه بدلا من تحقيق معرفة تجريبية يقينية جعلها معرفة إنسانية قاصرة بسبب عدم كفاية الأفكار، ثم يبدأ في نقاش جدلي لا طائل تحته عندما ذهب إلى إنكار مذهب الثنائية بعد إثباته، وهذا الإنتقاد في رأي الباحث محق حيث أن هذا التناقض كان واضحا بين تقرير لوك أن التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة في مكان، ثم تقريره في مكان آخر أن معرفة ان تقوم على البرهان دون أي دليل مادي¹.

3- لم يفتن لوك إلى خصوبة المنهج الرياضي ولم يستفد من نتائج دراسات ديكارت الرياضية كما فعل سبينوزا وليبنتز²، وهذا الإنتقاد أيضاً محق في نظر الباحث حيث كان نقض الفكر الديكارتي هو الشغل الشاغل لجون لوك دون أن يقدم بديلا واضحا يمكن من خلاله الوصول إلى المعرفة بطريقة أخرى غير التجريب.

4- يؤكد لوك على وجود الجوهر بصفة عامة إلا أنه يصرح بأنه لا يعرف عنه شيئا وقد كان من الممكن أن يرفض فكرة الجوهر باعتباره صاحب موقف تجريبي حسي ولكنه يؤكد

¹ إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، نفس المرجع السابق، ص294.

² أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1996، ص 164.

على أنها فكرة أساسية ورغم ذلك هي ليست فكرة بسيطة صادرة عن الحس أو التفكير فهو إذا لا يعرف عن الجوهر شيئاً ولا يكشف له الإحساس أو التفكير فكرة شيء اسمه الجوهر ومع هذا فهو يرى أنها فكرة ضرورية ومن هنا يتضح أن فكرته عن الجوهر لا تتفق مع موقفه ولا تخدم قضية المذهب التجريبي الحسي على وجه العموم¹.

5- لقد أشار جون لوك إلى أن العقل لا يدرك أي شيء إلا بواسطة أفكار فكيف يتسنى له أن يعرف أن أفكاره مطابقة لأشياء خارجية؟ أي بمعنى أدق ما هو معيار مطابقة الوجود للواقع؟ لقد قال لوك بأن الحقيقة هي في مطابقة الأفكار والأشياء الخارجية ولكن يجب تقديم الدليل على ذلك أما لوك فقد اكتفى بإلقاء نظرة سطحية على الموضوع ولجأ إلى الرأي²، وهنا يرى الباحث أن هذا الانتقاد غير محق فالأفكار أساساً هي رموز عقلية لأشياء الموجودة في الواقع، ففكرة الكرسي تتكون بعد أن يتعرف الإنسان الكرسي عن طريق حواسه، وهذا ينطبق على كثير من الأفكار الموجودة في الواقع وهذا يتماشى مع منهجه التجريبي.

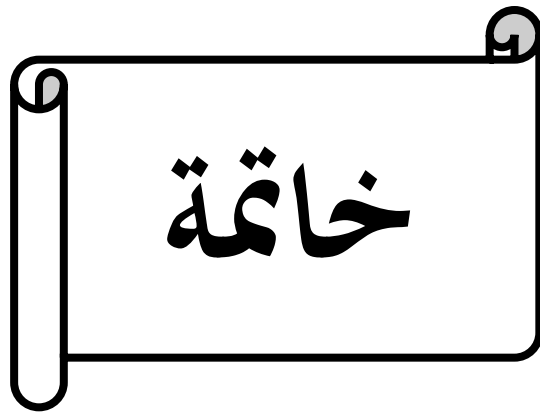
6- يجد القارئ لفكر لوك تفككاً وعدم استقامة في الفكر تجاه موضوع النفس، فهو يشير إلى أننا نجهل كونها روحية أو مادية وهكذا فنحن نواجه صعوبة في التسليم بوجود الجوهر النفسي.

7- يعتبر لوك أنه أثبت وجود الله استناداً إلى مبدأ العلية ومبدأ العلية يرجع إلى فكرة مركبة غير موضوعية كان قد أنكرها من قبل.

8- أخذ على لوك بأنه حسي دائماً وهو مستعد للتضحية بالمنطق بدال من أن يعدو متناقضاً وهو يعلن مبادئ عامة ويصر على أنها مبادئ وعندما تظهر نتائج غريبة لهذه المبادئ

¹ محمود زكي، قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، ص 215.

² أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي، نفس المرجع السابق، ص 182.



إن مساهمة لوك في إثراء الرصيد الفكري عامة والفلسفي، تركت أثر كبيراً في الفلسفة الحديثة والفلسفة المعاصر سواء بأفكاره السياسية وحتى الأخلاقية لفكر جون لوك أثر كبير لدى المفكرين البريطانيين بشكل خاص والمفكرين الذين بعده بشكل عام فأفكاره السياسية كانت بمثابة حجر أساسي للفكر السياسي الذي جاء بعده، وفي ختام هذا الدراسة، يمكننا استخلاص عدة استنتاجات نذكر منها:

قدم لوك نموذجاً مختلفاً عن العقد الاجتماعي، حيث يُنظر إلى الحكومة على أنها عقد بين الأفراد لحماية حقوقهم الطبيعية مثل الحياة، الحرية، والملكية. يختلف هذا النموذج عن نظريات العقد الاجتماعي الأخرى (مثل نظرية هوبز) بتركيزه على الحماية النشطة لحقوق الأفراد بدلاً من السلطة المطلقة. هذه النظرية أثرت بعمق في الفلسفات السياسية اللاحقة وخصوصاً في تطور الديمقراطيات الحديثة، وألهمت مفكري الثورات الأمريكية والفرنسية. لوك رأى أن الملكية الخاصة هي حق طبيعي ينبع من العمل والاستثمار الشخصي. يعتبر لوك أن الإنسان لديه حق أصيل في ممتلكاته التي يكتسبها من خلال جهده الشخصي. هذا المبدأ كان له تأثير كبير على تطور الاقتصاد الرأسمالي، حيث أصبحت حقوق الملكية الفردية حجر الأساس للنظام الاقتصادي الذي يعزز الابتكار والنمو الاقتصادي.

فكرة لوك عن فصل السلطات تُعد من الركائز الأساسية لضمان الحرية الفردية ومنع استبداد الحكومة. اقترح لوك أن السلطة يجب أن تكون مقسمة بين عدة مؤسسات لضمان عدم استحواذ أي طرف على القوة الكاملة، وهو المبدأ الذي تبناه لاحقاً مونتسكيو في نظريته عن فصل السلطات، وأصبح حجر الأساس للدساتير الحديثة في العديد من الدول، بما في ذلك دستور الولايات المتحدة الأمريكية.

جون لوك يُعتبر مؤسساً رئيسياً للفكر الليبرالي بتركيزه على الحرية الفردية، حقوق الملكية، وضرورة وجود حكومة مقيدة بقوانين واضحة تحمي حقوق الأفراد. يعتقد لوك أن الأفراد

لديهم حقوق طبيعية لا يمكن التنازل عنها، وأي حكومة شرعية يجب أن تحترم هذه الحقوق وتضمن حمايتها. يُعتبر كتابه "رسالتان عن الحكومة" (Two Treatises of Government) النص الأساسي الذي صاغ من خلاله هذا الإطار النظري، مما أسهم في تشكيل الأسس الفلسفية للديمقراطيات الليبرالية الحديثة.

ولوك سعى لتحقيق توازن بين مبادئ الليبرالية والديمقراطية، ما يعكس فهمه العميق لأهمية المشاركة الشعبية في الحكم مع الحفاظ على الحقوق الفردية. كان لوك يؤمن بأن الحكومة يجب أن تكون مسؤولة أمام الشعب وتستمد سلطتها من موافقة المحكومين، مما يشير إلى دمج عميق لمفاهيم الحرية الفردية مع آليات الديمقراطية التمثيلية.

أفكار لوك كان لها تأثير كبير على الثورات الديمقراطية، مثل الثورة الأمريكية والفرنسية. استخدمت مبادئه لتبرير قيام الحكومات المنتخبة وحماية حقوق المواطنين. أعلن إعلان الاستقلال الأمريكي عن هذه الأفكار بوضوح، حيث استندت الوثيقة إلى مفهوم الحقوق الطبيعية التي يتوجب على الحكومة حمايتها.

مقارنة أفكار لوك مع جان جاك روسو تكشف عن اختلافات جوهرية في فهمهما للعقد الاجتماعي. بينما ركز لوك على حماية الحقوق الفردية ومبدأ الملكية الخاصة كأولوية، ركز روسو على الإرادة العامة والمساواة الاجتماعية. تعكس هذه الاختلافات تبايناً في النهج تجاه كيفية بناء مجتمع عادل وحكومة شرعية.

رغم تأثيره الكبير، تعرضت أفكار لوك للنقد، خصوصاً في سياقات تطبيقها العملي وحدودها في معالجة قضايا المساواة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية. جادل النقاد بأن تركيز لوك على حقوق الملكية والفردية يمكن أن يؤدي إلى تفاوتات اجتماعية واقتصادية كبيرة، وأن نظامه قد يكون قاصراً في معالجة التحديات المعقدة التي تواجه المجتمعات المعاصرة فيما يتعلق بالتوزيع العادل للثروة والفرص.

ويجدر التنبيه في النهاية إلا أنه مهما بذلنا من جهد للإمام بجوانب الموضوع فإنه يبقى بحاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث، ولعل الأيام تتيح لنا أو لغيرنا متابعة هذا العمل للتوسيع والإحاطة بجوانبه المتشعبة والحمد لله وما التوفيق إلا من العزيز القدير الرحمان الرحيم.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

1. سورة الشورى، الآية: 38.

ثانيا : المصادر:

1. جون لوك في الحكم المدني، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية 1959، بيروت.
جون لوك، الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي تر: محمود وشوقي الكيالي،
دار القومية لطباعة والنشر، د.ط.

2. جون لوك، رسالة في التسامح، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، مصر.

ثالثا: المراجع:

1. ابراهيم مصطفى ابراهيم الفلسفة، الحديثة من ديكرت الى هيوم، دار الوفاء للعالميا
للطباعة والنشر الإسكندرية، 2001.

2. أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1996.

3. امام عبد الفتاح امام، الأخلاق والسياسة المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

4. أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، دط،
القاهرة، 1955.

5. أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قياء للنشر والتوزيع، القاهرة،
1998.

6. برتراند راسل، تاريخ الفكر الغربي الحديث (الفلسفة الحديثة لكتاب الثالث) تر: محمد
فتحي الشنطي المصرية العامة للكتاب 2002، دط.

7. جان توشار، تاريخ الافكار السياسية تر: ناجي الدراسة، دار التكوين للتأليف والنشر،
ط1، بيروت، 2010.

8. جون دن، جون لوك مقدمة قصيرة جدا، تر: فايقة جرجس حنا، مؤسسة هنداوي للتعليم
والثقافة، القاهرة، ط1، 2016.

9. جون ستوارت، الحكومات البرلمانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،
2017، قطر.

10. تغريد حنون علي، التطورات المعرفية الليبرالية في السياسي الغربي المعاصر، مجلة دراسات دولية، العدد 92، 2023.
11. راوية عبد المنعم عباس، جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1996.
12. رجاء أحمد علي، الفلسفة الاسلامية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان 2018.
13. زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مؤسسات الهداوي للنشر والتوزيع، المملكة المتحدة، دط، 1963.
14. سامي شهيد مشكور، أصل الدولة عند أصحاب نظرية الاجتماعي هوبز ولوك وجان جاك روسو وأثرها في الفكر المعاصر، جامعة الكوفة كلية الأدب، العراق.
15. صالح مصباح، فلسفة الحادثة الليبرالية الكلاسيكية من هوبز الى كانط، دار الجداول، د ط، بيروت، 2014.
16. الطيب بو عز، نقد الليبرالية، دار التنوير للنشر، د ط، مصر، 2013.
17. عبد الرضا حسين طعان وعامر حسني فياض وعلي عباس مراد، مدخل الى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 2008.
18. عبدا لله العروي، مفهوم الحرية، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.
19. على عبد المعطي، تيارات الفلسفية الحديثة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1984.
20. علي أومايل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.
21. غفار سيكريك ونلن فيلمي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة الى القرن العشرين، ترجمة، حيدر حاج اسماعيل المنظمة العربية لترجمة والتوزيع، ط1، بيروت، 2012.
22. فاروق عبد المعطي، جون لوك، من فلاسفة الانجليز في العصر الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993-1413.

23. فردريك كوبلشون، تاريخ الفلسفة (المجلد الخامس)، تر: محمود سيد احمد، المجلس الاعلى للثقافة، 2003.
24. فضل الله محمد إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، ط1، مصر، بستان المعرفة، 2011.
25. فولتير، رسالة في التسامح، تر: هنرييت عبودي، دار بترا للنشر والتوزيع، ط1، 2009، دمشق.
26. مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيفيا، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
27. موريس دوفرليه، المؤسسات السياسية والقانون الدستوري، تر: جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1992.
28. مونتسكيو، روح الشرائع، تر: عادل زعيتر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ج1، 2017.
29. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.
- رابعا: المعاجم والموسوعات:
30. سارة المديغر، فلسفة لوك السياسية، موسوعة شانفورد للفلسفة 03/08/2021 والقواميس والموسوعات
31. اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، ط2، بيروت، منشورات عويدات، 2001.
32. ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون الطابع الأميرية، 1983، القاهرة.
- خامسا: الرسائل الجامعية:
33. أرزقي مزهود، مفهوم الدولة المدنية ومبادئها عند جون لوك رسالة ماجستير كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم الفلسفة بوزريعة، الجزائر2، 2019-2020.
34. بشار مالك سليمان، فلسفة جون لوك ابعادها التربوية دراسة وصفية تحليلية، جامعة دمشق كلية التربية اعدت لنيل درجة الماجستير في أصول التربية 2015.

35. الحاج رباني، رسالة ماجستير، نظرية في العقد الاجتماعي تأصيل لحقوق الإنسان عند هوبز، لوك، روسو، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، 2002-2003.

سادسا: المجالات والدوريات

36. محمد بن علي، الليبرالية في الفكر العربي المعاصر، المركز الجامعي احمد زيانة غليزان، مجلة متون، العدد الرابع، جانفي 2017.

37. حسان حمون، الدولة والمجتمع المدني في الفكر السياسي الحديث (توماس هوبن جون لوك، امانويل كانط)، مجلة القيس للدراسات النفسية والاجتماعية، المجلد 13 العدد 4 جامعة القاضي عياض، مراكش المغرب، 2022.

38. طلال حامد خليل، المرتكزات الفكرية الليبرالية (دراسة نقدية)، الجزائر، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد 15، جوان 2016.

39. عبد الله الطاهر مسعود، الحكومة المدنية بين جون لوك وجان جاك روسو (دراسة مقارنة في طبيعة المجتمع السياسي) جامعة الزاوية، مجلة كلية الآداب، العدد التاسع والعشرون، الجزء الاول 2020.

40. عبد الله الطاهر مسعود، الحكومة المدنية بين جون لوك وجان جاك روسو (دراسة مقارنة في طبيعة المجتمع السياسي) جامعة الزاوية، مجلة كلية الآداب، العدد التاسع والعشرون، الجزء الاول 2020.

41. محمد فايز فرحات، الليبرالية والحرية، مجلة السياسة الدولية، 2023/04/30.

المخلص:

تناولت الدراسة جذور السياسة كفكر ومفهوم، وارتباطها بالحاجة الإنسانية إلى السلطة في هذا الصدد اهتمت الدراسة في تحليل الفكر السياسي للفيلسوف جون لوك وأثره على تطور الليبرالية السياسية الحديثة، خاصة من خلال كتابه "الحكومة المدنية، الدار القومية للطباعة" حيث ركزت الدراسة مبادئ لوك مثل فصل السلطات وحقوق الإنسان والحكومة القائمة على العقد الاجتماعي، وكيفية تشكيل الحكومات الشرعية. تهدف إلى فهم تطور الفكر الديمقراطي وتطبيقاته المعاصرة، مع تحليل نقدي لحقوق الأفراد ودور الدولة في حمايتها واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والتحليل لفهم مدى تأثير أفكار لوك على الأنظمة السياسية الحديثة.

Summary in English

The study delved into the roots of politics as an idea and concept, and its connection to the human need for authority. It focused on analyzing the political thought of philosopher John Locke and his impact on the development of modern political liberalism, particularly through his work "An Essay Concerning Human Understanding." The study emphasized Locke's principles such as the separation of powers, human rights, and government based on the social contract, and how legitimate governments are formed. The aim was to understand the evolution of democratic thought and its contemporary applications, with a critical analysis of individual rights and the state's role in protecting them. The study employed an analytical and comparative approach to understand the extent of Locke's ideas on modern political systems.